جامع التواريخ

رشيد الدين فضل الله الهمذاني

تاريخ المغول

المجلد الثاني — الجزء الثاني

الإيلخانيون

تاريخ أبناء هولاكو

من آباقاخان إلى گيخاتوخان

نقله إلى العربية

محمد صادق نشأت   فؤاد عبد المعطي الصياد

راجعه

يحيى الخشاب

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة



تاريخ المغول

المجلد الثاني — الجزء الثاني

الإيلخانيون

تاريخ أبناء هولاكو

من آباقاخان إلى گيخاتو خان

نقله إلى العربية

محمد صادق نشأت — فؤاد عبد المعطي الصياد

راجعه

يحيى الخشاب

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

تاريـــخ
آباقاخان بن هولاگوخان بن تولوى خان بن چنگيزخان
وهو على ثلاثة أقسام

كانت ولادته فى الثامن والعشرين من شهر « ارام » من سنة « يوند » الموافق جمادى الأولى سنة ٦٣١ (١٢٣٤) بمقام . . . [1] ، وكان الطالع المبارك أواسط برج السنبلة . وقد جلس على العرش فى يوم الجمعة الخامس من «شون» سنة « هوكار » الموافق ٣ من رمضان سنة ٦٦٣ (١٢٣٦) بطالع السنبلة كذلك ، وتوفى فى ليلة الأربعاء ٢١ من « ايكيندى » سنة .... [1] الموافق ٢٠ من ذى الحجة سنة ٦٨٠ (١٢٨٢) . وكانت مدة حياته تسعا وأربعين سنة وسبعة أشهر ، ومدة حكمه سبع عشرة سنة وأربعة أشهر .

القسم الأول : فى تقرير نسبه الرفيع ، وبيان أسماء زوجاته وأبنائه و بناته وأحفاده الذين تفرعوا حتى ذلك الوقت ، وذكر أصهاره ، وجدول فروع أبنائه .

القسم الثانى : فى مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء فى حالة ارتقائه عرش الخانية ، وتاريخه وحوادث

---

(١) كلمة ساقطة من الأصل .

عهده ، والحروب التى قام بها فى كل وقت ، والفتوح التى تيسرت له ، ومدة حكمه .

القسم الثالث : فى سيرته الحميدة وأخلاقه الفاضلة وحكمه الغاليــة وأمثاله وكلماته المستحسنة التى قالها وأمر بها ، والحـكايات والأحداث التى وقعت فى عصره مما لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعرفت متفرقة من الـكتب والرجال .

القسم الأول

من تاريخ آباقاخان

في تقرير نسبه الرفيع ، و بيان أسماء زوجاته وأبنائه و بناته وأحفاده المتفرعين حتى ذلك الوقت ، وذكر أصهاره وجدول فروع أبنائه

تقرير نسبه الرفيع و بيان أسماء زوجاته

آباقاخان هو الابن الأكبر والأرشد لهولاكو خان . ولد من « يسونجين خاتون » من قوم « سولدوس » ، وكانت له زوجات ومحظيات كثيرات . وقد تزوج من « أولجاى خاتون » بعد وفاة « هولاكو خان » ، واصطحب معه « توقيتى خاتون » التي كانت محظية لهولاكو خان ، ووضع على رأسها « البوقتاق » [1] بدلا من « توقوز خاتون » [2] فصارت سيدة . وكانت « دورجى خاتون » مفضلة على جميع نسائه . فلما توفيت تزوج من « نوقدان خاتون » من قبيلة التتار وأجلسها في مكان « دورجى خاتون » ، ولما توفيت تزوج من « ايلتوزميش خاتون » بنت قتلغتيمور كوركان ،

---

(١) بمعنى القلنسوة المرصعة بالجواهر وتلبسها أميرات المغول . جامع التواريخ (الترجمة العربية) المجلد الثاني الجزء الأول ، صفحة ٢٢٤ ملحوظة ٣

(٢) يطلق عليها أيضاً دوقوز خاتون .

وأخت « طرقاى كوركان » من قوم القنقورات ، وأحلهـا محل « نوقدان خاتون » . بعد ذلك تزوج السلطان آباقاخان بنت السلطان « قطب الدين محمـد خان الـكرمانى » ، وأجلسها مكان أمه « ييسونجين » . ثم تزوج من « مرتى خاتون » من قوم القنقورات ، وكانت أختـا لموسى كوركان سبط جنـگيزخان ، وكانت « قوتى خاتون » أماًلموسى ، وكانا ولدى عم . وتوفيت « مرتى خاتون » فى عصر أرغون . وقد اختار « أرغون خان » « توداى خاتون » زوجا له ، وكانت أيضاً من قوم القنقورات ، فألبسها البوقتاق ، وأحلها محل مرتى . و بعد ذلك تزوج آباقاخان من « بلغانخاتون » الكبرى التى كانت من أقارب « نوقاى يرغوچى » . ولما كان يحبها للغاية ، فقد أنزلها منزلة أسمى من منزلة « مرتى » و « تسبنه » . وعندما توفى آباقاخان تزوج منها أرغون خان ، فلما توفيت أحل محلها « بلغان خاتون »، وكانت الزوجة الأخرى هى « تسبنه خاتون » بنت ملك طرابزون .

وكان من جمـلة محظياته « قايميش ايكاجى »[1] . « وكوكجى » أم « طغانجوق » زوجة الأمير « نوروز » ، وكـذلك « بولغاچين ايكاجى » ، و « بولچين ايكاجى » ، و « شيرين ايكاجى » التى صارت بعـد ذلك زوجة للأمير فولاد . ومن محظياته الأخريات « التاى ايكاجى » وغيرهن كثيرات ممن لم تعرف أسماؤهن .

---

(١) فى الأصل : ايكجى .

ذكر أبناء آباقاخان بن هولاكوخان وبناته وأصهاره.

كان لآباقاخان ولدان صارا ملكين وهما: أرغون خان وكانت أمه «قايمش خاتون»، وقد صار خانا بعد عمه، وگيخاتوخان الذى ملك من بعده، وكانت أمه «نوقدان خاتون». وسوف يأتى بيان أسماء أبناء وأحفاد كل منهما تفصيلا على انفراد فى سيرته.

أما بنات «آباقاخان» فكن سبعا، وذلك على النحو التالى:

الأولى: «يولقتلغ»، وكانت توداى خاتون أمَّ «يولقتلغ» هذه وأمَّ «نوقاى» أيضاً. وقد زوجت «يولقتلغ» من «ايلجيتاى فوشچى»، ومن بعده تزوجت من «ايلباسمش» ثم توفيت فى «گاو بارى».

الثانية: «طغاى»، وكان آباقاخان قد زوجها من الأمير «دولداى اوداجى».

الثالثة: «ملكه»، وكانت أمها «بلغان خاتون»، زوجها أبوها من «طوغان بوقابن نوقاى يارغوچى» من قوم «باياوت».

الرابعة: «طغانجوق»، وكانت أمها «كوكبى خاتون»، وقد زوجت من الأمير نوروز بن أرغون آقا من قوم «اويرات».

الخامسة: «ايلقتلغ»، وكانت أمها «بولچين ايكاجى»، وقد زوجت من غربتى كوركان من قوم «هوشين».

السادسة : « اولجيتاى » ، وأمها « بولچين » أيضاً ، وقد زوجت من ابن داود ملك گرجستان .

السابعة : « نوچين » ، وأمها « مرتى خاتون » .

صورة آباقاخان ونسائه وفروع أبنائه

(جدول أبناء آباقاخان و بناته وأزواجهن)

- أرغون خان
- گيخاتو خان
- ملكه — كان زوجها طغان بوقاى نوقاى يارغوجى من قوم باياوت .
- طوغانجوق — كان زوجها نوروز بن أرغون آقا من قوم أويرات
- إيلقتلغ — كان زوجها غرباى كوركان من قوم أوشين .
- يولقتلغ
- أولجيتاى
- طغاى — كان زوجها دولاداى إيداجى من قوم التاتار .
- نوچين

القسم الثانى

من تاريخ آباقاخان

في مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والنساء والأمراء الأنجال، والأمراء فى حالة جلوسه على عرش الخانيه، وتاريخه وحوادث عهده، والأحكام التى أمر بها فى كل وقت، والحروب التى قام بها، والفتوح التى تيسرت له، ومدة حكمه وحياته بعد وفاة أبيه.

حينما توفى هولاكوخان ، سدوا الطرق كما هو المتبع عندهم ، وأصدروا الأوامر بألا ينتقل أى مخلوق من مكان إلى آخر ، وأرسلوا – فى الحال – رسولا إلى حضرة آباقاخان بناحية خراسان، لأنه كان الابن الأكبر وولى العهد، وطلبوا أيضا «أرغون آقا» الذى كان بمنزلة الوزير وكان ملازما لآباقاخان . وفى ذلك الوقت كان آباقاخان فى مشتى مازندران ، وحضر « يشموت» الذى كان واليا على بلاد دربند وأران فى اليوم الثامن من وفاة أبيه ، فعرف اتجاه الأمراء ، وأخذ يفكر فى واقع الأحوال . فلما تيقن أنه لن يتيسر له عمل ، عاد بعد يومين من مقامه :

وقد نزل آباقاخان فى معسكر « جغاتو » فى عام « هوكار » الموافق ١٩ من جمادى الأولى سنة ٦٦٣ (١٢٦٥) ، فاستقبله عند وصوله جميع الأقارب

والأمراء . ولما كان «إيلكا نو يان» أميرا للجيوش ، وكان قد قضى مدة فى خدمة الإيلخان بالإخلاص والطاعة ، فقد قدم لآباقاخان الطعام والشراب ، وأطلعه — على انفراد — على حقيقة الأحوال وما حدث لأبيه .

وبعد الفراغ من إقامة مراسيم العزاء ، اجتمع جميع الخواتين والأمراء الأنجال والأصهار والأمراء ، وتشاوروا بشأن جلوسه على العرش . وفى ذلك العهد كان هناك كثير من الأمراء الكبار القدامى أمثال « إيلكا نو يان » و « سونجاق نو يان » و « سونتاى نو يان » و « سماغر نو يان » و « سكتور نو يان » و « أرغون آقا » وآخرون ممن يطول ذكر كل منهم . ومن بين هؤلاء « سكتور نو يان » — الذى كان الإيلخان قد أوصاه وسلمه التحف والطرائف — و « سونجاق آقا » اللذان شهدا بولاية العهد والخلافة لآباقاخان قبل سائر الأمراء ، فكان آباقاخان يرفض ذلك ، ويحيل الأمر إلى إخوته الآخرين . ولكن الإخوة أجمعين ركعوا قائلين : « إننا عبيد ، ونعتبرك قائما مقام أبينا » . فأجاب آباقاخان : « إن السيد هو قو بيلاى قاآن ، فكيف يتسنى الجلوس دون أمره » . فقال الأمراء : « إنك سيد لكافة الأنجال ، وتعرف جيدا الرسوم والقوانين والأحكام القديمة والحديثة . وقد اختارك هولاكوخان فى حياته وليا للعهد ؛ فكيف يجلس غيرك على العرش» واتفق جميعهم على ذلك مخلصين .

ثم أجلسوا آباقاخان على سرير الملك فى موضع « جغان ناور » من

أعمال « براهان » فى يوم الجمعة ٥ من « شون » سنة « هوكار » أى عام الثور الموافق ٣ من رمضان سنة ٦٦٣ (١٢٦٥) فى طالع السنبلة وذلك حسب اختيار الخواجه نصير الدين الطوسى رحمه الله . وأقاموا جميع الرسوم المعروفة فى مثل هذه الأحوال .

قصـــة

تنظيم آباقاخان مصالح البلاد، وتدبيره شئون الملك

وزع آباقاخان بعـد جلوسه على عرش الخانية أموالا كثيرة من النقود والجواهر والثياب الثمينة على الخواتين والأمراء الأنجال وغيرهم من الأمراء ، وعمّ خيره كافة الجند . وبعـد الفراغ من إقامة مراسيم الاحتفال والتهانى بجلوسه على العرش،جعل نصب عينيه ضبط شؤون الحكم وترتيبها ، ومباشرة مصالح الرعايا والجند .

ومع أنه كان نائبا « للتاج والعرش » ، فإنه كان يجلس على الـكرسى ويحكم إلى أن وصل الرسل من لدن « قوبيلاى قاآن » حاملين إليه الفرمان بتوليته . فأمر أولا بأن تبقى نافذةً مستمرة الأحكامُ والقوانين التى وضعها هولاكوخان ، والفرمانات التى أصدرها فى كل شأن ، وأن تصان من شوائب التغيير والتبديل ، وألا يطغى الأقوياء على الضعفاء ، وألا يظلموهم ، وأن تحافظ جميع الطوائف على رسوم آبائها وأجدادها .

وبعد مضى أسبوع أصدر الملك الأوامر إلى كافة البلاد بحمل البشرى بجلوسه المبارك ، وأعاد السلاطين والملوك والأمراء والحكام ، كما أعاد من حضر من أرباب الحاجات بعد إجابة مطالبهم . وقد بادر فأرسل أخاه «يشموت» بجيش كامل العدة إلى نواحى دربند وشروان وموغان حتى حدود « التان » لكى يحفظ تلك الحدود من عادية الطغاة . كما سيّر أخاه الآخر « توبسين » بجيش مجهز تماما إلى خراسان ومازندران حتى ضفاف جيحون . وأوفد إلى بلاد الروم « طوغو البتيكچى » بن « إيلكاى نويان » و « توداون » أخا « سونجاق نويان » الذى كان جدا للأمير چوبان . ولما توفيا أرسل « سماغر » و « كهوركاى » مكانهما . وعيّن « دورباى نويان » على ديار بكر وديار ربيعة الواقعة على حدود الشام . وعهد بكرجستان إلى « شيرامون بن جورماغون » . وأحال الإشراف على الأملاك الخاصة إلى « التاجو » . وولى « سونجاق آقا » ممالك بغداد وفارس . وأقر « أرغون آقا » على عمله فى الإشراف على إقطاعيات البلاد . وقلّد الصاحب السعيد « شمس الدين محمد الجوينى » منصب الوزارة حسب القاعدة السابقة . واتخذ دار الملك تبريز مقرا لسرير الملك . واختار « الاطاغ » و « سياه كوه » للمصيف ، و « أران » و «بغداد» للمشتى . وفى بعض الأوقات عيّن« جغاتو» و«الصاحب علاء الدين عطاملك » نائبين عن الأمير « سونجاق آقا » فى بغداد . وفوض وزارة خراسان إلى الخواجه «عزالدين طاهر »، ومن بعده لنجله الخواجه «وجيه الدين» . وكان

حكم إقليم فارس باسم أولاد الأتابك أبى بكر ، و إقطاعها باسم « شمس الدين تازيكو » . كما سلم « تركان خاتون » كرمان . وعهـد بتبريز إلى الملك «صدرالدين» و بديار بكر إلى « جلال الدين طريز» والملك« رضى الدين بابا» . و بإصفهان ومعظم ولايات العراق العجمى إلى الخواجه « بهاء الدين محمد » ابن صاحب الديوان « شمس الدين » . و بقزوين وجزء من العراق إلى الملك « افتخار الدين القزوينى » . و بديار ربيعة إلى الملك « مظفر فخر الدين قرا آرسلان » . و بمملـكة نيمروز إلى الملك « شمس الدين كرت» . و بكرجستان إلى « داود » وابنه « صادون » . وقد أفاض من إنعامه العام على مايقرب من مائة عالم كبير من تلاميذ أستاذ العالم الخواجه« نصير الدين الطوسى» رحمه الله ، وممن كانوا ملازمين للحضرة . وأمضى شتاءذلك العام فى أطراف مازندران ، ثم عاد فى الربيع إلى دار الملك « تبريز » سنة ٦٦٣ (١٢٦٥) .

قصـــــة

حرب آباقاخان لنوقاى وبركاى وانـكسارهما وهزيمتهما

فى أوائل عهد آباقاخان ، قصد هـذه البلادَ جماعةٌ من الخصوم والحساد ، فتحرك من « در بند » للمرة الثانية « نوقاى » للأخذ بثأر « توتار » ، فأنهت الطلائع خبر وصوله إلى آباقاخان ، وسار لحربه الأمير « يشموت »

بناء على أمر آباقاخان فى الرابع من « آلتينيج » سنة « هوكار » الموافق للثالث من شوال سنة ٦٦٣ (١٢٦٥) . ثم عبر نهر « كر » ، وتلاقى الجمعان على مقربة من « جغان موران » التى تدعى « آقسو » ، وانتظمت الصفوف من الجانبين ، والتحم الجنود فى القتال ، وقتل كثير من الفريقين . وقد أبلى «قوتو بوقا» والد طغاجار آقا بلاء حسنا فى تلك المعركة إلى أن قتل، وأصاب « نوقاى » أيضاً سهمٌ فى عينه ، وانهزم جنوده وتراجعوا حتى شروان .

ثم عـــبر آباقاخان نهر كر ، ووصل من ذلك الشاطىء « بركاى » بثلاثمائة ألف من الفرسان ، وجاء آباقاخان مع جيشه إلى الشاطئ الآخر ، وأمر بقطع الجسور ، واصطف الجنود من الجانبين على ضفتى نهر « كر » ، وامتدت الأيدى بقذف السهام من الفريقين . وقد أقام « بركاى » أربعة عشر يوما على شاطئ النهر . ولمـا كان العبور متعذرا سار نحو تفليس ، ليعبر النهر من هناك . ولـكنه مرض فى الطريق ومات ، وحمل نعشه إلى سراى باتو ودفن ، وتفرقت جيوشه .

وفى سنة ٦٦٤ (١٢٦٦) أمر آباقاخان جنوده ، فأقامو سدا من «دالان ناوور » إلى سهل كردمان المتصل بوادى كر ، وحفروا خندقا عميقا ، وعينوا جمـاعة من المغول والمسلمين للمحافظة عليه ، وأخـــذت القوافل تتردد من الطرفين . ولما فرغ آباقاخان من أمر دربند ، ترك هناك الأمير « منكوتيمور » مع « سماغر نويان » و « اولجاى خاتون » . وفى شتاء عام ٦٦٥(١٢٦٧) سار إلى خراسان ، وشتَّى فى مازندران وجرجان .

حـكاية

مجىء مسعود بك إلى حضرة آباقاخان، ووصول قوتى خاتون وعشيرة هولاكوخان الذين كانوا قد بقوا هنالك

فى الشتاء المذكور جاء الوزير مسعود بك بن محمود يلواج السفير يحمل رسالة من لدن « قايدو » و « براق » ، وكان يطالب بتقديم حسابات أملاكهما الخاصة . وحينما مثل بيد يدى آباقاخان كان مرتديا قباء چنگيزخان « برقاق بباولى »[1] ،وجلس متصدرا جميع الأمراء ماعدا « ايلاكا نويان» . وقد صدر الأمر بأن يتم الخواجه « سعيد شمس الدين العلكانى » . مراجعة جميع تلك الحسابات خلال أسبوع وبسلمها . ولما لم يكن الوزير قد قدم مخلصا ، فإنه أخذ يتعجل العودة ، فأذن له بالإنصراف بعد أسبوع مشمولا بالرعاية والإنعامات .

فلما رحل ، وصلت الأخبار بعد يوم تفيد ظهور جيش العدو على ضفاف نهر جيحون ، فعرف آباقاخان أن مسعود بك قد تحايل ، وجاء متجسساً لحساب «براق» ، فأرسل الرسل فى إثره فورا ليعيدوه ، وكان مسعود نفسه قد احتاط للأمر ، وأعد الدواب فى كل مرحلة . وسار الرسل حتى صفاف جيحون ، فبلغوه وقد عبر ، فعادوا . وأما آباقاخان فقد عزم على الرحيل إلى خراسان ،

(١) هكذا فى الأصل .

وسار حتى سرخس ، وأمضى الشتاء فى مازندران ونواحيها . ثم بلغه خبر وصول عشيرة هولاكوخان فاستقبلها . وعند حدود « كبودجامه » وصلت « قوتى خاتون » مع ولديها « تكشين » و « تكودار » وابنىْ « جومقور » : « جوشكاب » و « كينكشو » ونجل « طرقاى بايدو » و « ييسونجين » خاتون والدة « آباقا خان » .

وقصتهم هى أنه عندما توجه « هولاكوخان » إلى إيران ، ترك عشيرته فى خدمة « منگوقاآن » . وفى أثناء الفتنة كان « جومقور » مصاحبا « لأريغ بوكا » إبان الهزيمة فى حر به مع « آلغو » ، فتوجه « أريغ بوكا » مع « جومقور » إلى حضرة القاآن . وقد تخلف جومقور بسبب المرض والعلاج ، وأقام فى تلك النواحى . فلما بلغ الخبر هولاكوخان ، أرسل « أباتاى نويان » فى سنة ٦٦٢ (١٢٥٤) لاستدعاء جومقور والأسرة . ولما كان جومقور مريضا ، فقد توفى فى الطريق ، فتركهم « أباتاى نويان » عند حدود سمرقند ، وعاد إلى حضرة هولاكوخان ، وأبلغه الأمر ، فأدانه وضربه ثمانين عصا وقال له : « إنك لم تحافظ عليه جيدا فى الطريق ، على حين أنك قد أفرطت فى الأكل والشرب ومباشرة النساء » .

ومهما يكن فقد قادهم رجل هندى ، ودلهم على طريق سهل ، ثم عبر بهم نهر جيحون ، وأوصلهم إلى الحضرة فى ضواحى كبود جامه فى ١٩ من جمادى الأولى سنة ٦٦٦ (١٢٦٧) فتعطف عليه آباقاخان وأكرمه ، ومنحه لقب

« ترخان »[1] . وكانت « قوتى خاتون » قد بلغها نعى هولاكو خان فى نواحى بدخشان ، فبكت كثيراً حتى ابيضت عيناها من الحزن . وقد ابتهج آباقاخان وسرّ بقدومهم ، وأكرم وفادتهم ، وأغناهم بالأموال والمتاع ، وكانت هنـاك محظية اسمهـا « اريقان » جاءت من معسكر « قوتى خاتون » إلى حضرة هولاكوخان ، فسلموها ما كان يصيب قوتى خاتون من الغنائم ، فجمعت مبالغ ضخمة من الأموال . وحينما بلغت «قوتى خاتون» المعسكر وجدته مزدانا بشتى النعم . وقد أقطع آباقاخان هـذه الجماعة بعض المواضع من ديار بكر وميافارقين، ومن عدة أماكن أخرى باسم «تونلوق[2]»، وكان يُحَصّل منها مايقرب من مائة ألف دينار من الذهب الإبريز . وكان آباقاخان أحيانا يبدى لهؤلاء مجاملات فائقة برسم الضيافة .

وخلاصة القول أن آباقاخان عاد من خراسان فى الربيع ، وأمضى الشتاء الآخر فى « جغاتو » ثم سار صيفا إلى « الاتاغ » ، ومر « بسياه كوه » . وأقام « بأران » فى الشتاء التـالى ، فى وفى صيف عام ٦٦٨ (١٢٦٩) سار لمحاربة «براق» .

---

(١) اقب يفيد امتياز حامله بالإعفاء من كل التـكاليف ، فهو لا يدفع نصيباً ممـا يغنم فى الحرب ، ويدخل على الملك وقت مايشاء ، ولا يتعرض لحساب إذا وزر وازرة . وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك (ص٢١٣) : (Dict Turk. Oriental, Pavet de Courteille

(٢) تونلق بمعنى التزام (الخشاب)

(٢ ـ جامع التواريخ)

قصـــة

مجيء براق من بلاد ماوراء النهر إلى خراسان، ومحاربته جيش آباقاخان وانكساره وانهزامه

بعد أن قضى « براق » على مباركشاه ، وبعد أن استولى على مناطق الجغتاى ، سلك مسلك العصيان والطغيان ، فكان « قايدو » يمنعه من هذا السلوك ، ولهذا دب الخلاف بينهما . وفى ذلك الوقت كان المدعو « مغولتاى » شحنة لتركستان من قبل القاآن ، فبعث براق بالأمير « بكميش » ليحل محله؛ فذهب « مغولتاى » إلى حضرة القاآن وقص عليـه قصته ، فأرسل القاآن أميرا كبيرا اسمه « قوينجى » مع ستة آلاف فارس فقضى على « بكميش » ، وقام هو بوظيفة الشحنة ، فسير براق أميرا مع ثلاثين ألف رجل للقائه ، ولما عرف « قوينجى » أنه لا يستطيع المقاومة ، عاد إلى الختا (الخطا) . فأغار جيش « براق » على « ختن » . وبعد أن وطد « براق » مركزه عزم على مهاجمة « قايدو » و « منكو تيمور » فأطلعهما مسعود بك على سوء نواياه من الاعتداء عليهما ، وصار يحرضهما على محاربته : وقد آل الأمر إلى التقاء الفريقين على ضفاف نهر سيحون ، وكان « براق » قد أعد كمينا ، فأوقع بحيلته الهزيمة بجنود « قايدو » و « قبجاق » ، وقتل وأسر كثيرا منهم ، وحصل على غنائم وافرة ، وصار مظفرا جسورا ، وزاد تكبره وغروره .

وقد غضب « منكو تيمور » عندما بلغه خبر انهزام « قايدو » و«قبجاق»، وأرسل عمه « بركاجار »مع خمسين ألف فارس لإمداد «قايدو »، وجمع هو أيضا عساكره المشتتة ، ثم حاربوا براق ، فدمروه ، وهزموا جيشه . وقد قتل كثير من جنوده ومرض كثيرون ، وعاد « براق » منكوبا إلى بلاد ما وراء النهر ، فجمع ثانية شتات الجند ، وتشاور مع الأمراء قائلا : « لن يستقر الملك لنا مع وجود هذه الجماعة التى تعتدى علينا . فمن المصلحة الآن أن نخرب هذه البلاد العامرة نهباً وسلباً ، ولنبدأ بسمرقند » ، فأعجب الأمراء بهذا الكلام للغاية، فلما علم « قايدو » و«قبجاق » و« بركاجار » بحقيقة الأمر ، تشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يسيروا فى إثره، ويطردوه من تلك النواحى، ثم قال «قايدو » : « إنه حينما يطلع على هذه الحقيقة ، سيمعن فى التخريب . فمن الأجدر أن نرسل إليه رسولا ، وننصحه ونطلب إليه الصلح » فقال « قبجاق » : « كانت قواعد الصداقة بينى وبينه قوية وطيدة . فلو أذنتما لى فسوف أذهب وأخدعه بمعسول القول » . ولما كانا يعرفان فصاحة «قبجاق» وبلاغته ، أوفداه إلى سمرقند مع مائتى فارس أحسن اختيارهم ، فنزل فى الصغد، وبعث برسول إلى «براق» يخبره بوصوله ، ويتحدث عن الصلح والوفاق. فلما بلغت الرسالة « براق » ، فكر ساعة وقال للأمراء: « لا يعلم ما يختبئ تحت هذا الصلح من الحرب » . ثم قال للرسول: « بلغ «قبجاق» وقل له : ليحضر سريعاً ، حتى تنير عيوننا المعذبة بنور حضوره » ، وأمر أتباعه فزينوا البلاط

زينة رائعة ، واصطف الجنود مدججين بالأسلحة ، وجلس على العرش فى أبهة وفقا لتقاليد الملوك .

ولما وصل « قبجاق » ، نزل « براق » عن العرش ، وقابله بالإعزاز والتكريم ، وتعانقا . ثم أمسك « براق » بيد « قبجاق » ورفعه على العرش ، وتبادلا الكئوس ، وسأله « براق » فى حماس قائلا : « ماذا أحلى من لقاء الأصدقاء والأولياء من الأقارب والأعزاء ؟ » . فبدأ « قبجاق » يتحدث عن المصالحة والاتحاد وصلة القربى . فأجاب « براق » : « خيرا ما تقول ، وأنا كذلك يبدو لى فى بعض الأحيان وجوب مراعاة مثل هذه المعانى ، وأظل خجلا من أعمالى ، لأننا جميعا أبناء عمومة . لقد استولى آباؤنا الصالحون على العالم بسيوفهم ، وتركوه ميراثا لنا . فلماذا نتفق على خراب العالم فى هذا الوقت ولماذا ندع هذه الفتن والاضطرابات تقوم بيننا ؟ . إن بقية الأمراء من أقاربنا يملكون المدن العظيمة والمراعى الناضرة ، ولكنى لا أملك إلا هذه المنطقة الصغيرة . وقد قصدنى قايدو ومنگو تيمور للاستيلاء عليها ، وإنهما ليطارداننى حول العالم فى اضطراب وحيرة » . فأعجب « قبجاق » بكلامه وقال : « لقد قلت قولا سديداً . ولكن من الأفضل ألا نذكر الماضى ، وندع اللجاج والعناد ، ونقطع مع بعضنا البعض العهد والميثاق ، على أن نتفق فى جميع الأحوال ، وعلى أن يؤازر بعضنا البعض » .

ولما كان « براق » مضطربا ومضطربا بسبب التفكير والبحث الكثير عن

حل، فقد وافق على الصلح . و بعد أسبوع استأذن« قبجاق» فى الانصراف .
ووافق«قايدو»و« بركاجار»أيضاعلى الصلح مع« براق»،ورحبابعمل«قبجاق» .

وفى ربيع سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨ اجتمع كل أولئك الأمراء فى مرج«تلاس»
و « كنجك » . و بعد أسبوع أمضوه فى الاحتفالات ، عمدوا فى اليوم الثامن
إلى التشاور والتفاوض.وسبقهم «قايدو» فقال : « إن جدنا الصالح جنكيزخان
استولى على العالم برأيه وتدبيره وحدة سيفه ومضاء سهمه ، وأعده وهيأه لجماعته
وعشيرته ثم تركه لنا ، فلو نظرنا إلى أبينا لرأينا أننا جميعا أقارب ، وأن بقية
الأمراء من أفراد أسرتنا ، ولا يوجد بينهم أى خلاف أو نزاع ، فلماذا يكون
بيننا هذا الشقاق؟ » . فأجاب براق : « إن الحال على هذا المنوال ، ولكننى
أنا أيضا ثمرة تلك الشجرة، فيجب أن يكون لى موطن معين ومعيشة مرضية.
لقد كان جغتاى وأوكتاى وَلَدَىْ جنكيزخان ، فبقى قايدو تذكارا لأوكتاى
و بقيت أنا من جغتاى ، و بقى بركاجار ومنكو تيمور من جوجى الذى كان
الأخ الأكبر ، و بقى قوبيلاى قاآن من تولوى الذى كان الأخ الأصغر .
والآن قد استولى قوبيلاى على نواحى الشرق وممالك الخطا والماچين ، تلك
الأقاليم التى لا يعلم طولها ولا عرضها إلا الله ، و يحكم آباقا و إخوته المُلك الذى
ورثوه عن أبيهم ، والذى يمتد غربا من ضفاف نهر جيحون حتى أقصى تخوم
الشام ومصر . و بين هاتين المنطقتين توجد ولاية تركستان وقبچاق حيث
تقيمون وتملكون . ومع هذا فإنكم قد اتفقتم علىّ . ومهما كنت أفكر

وأتأمل حقيقة الأمر ، لا أرى أنى قد أثمت حتى أقصى » .

فقالوا : « الحق فى جانبك . وقد قررنا ألا نذكر الماضى بعد اليوم ، وأن نوزع أماكن المصايف والمشاتى بيننا بالحق ، ونقيم فى الجبال والصحارى؛ لأن هذه الولاية خربة جدا وقاحلة » .

وقد استقر رأيهم على أن يكون لبراق ثلثا بلاد ماوراء النهر ، وأن يكون الثلث الباقى «لقايدو» و« منكوتيمور » ،وعرضوا ذلك على « منكوتيمور » ، وأتموا الأمر بمشورته .

وكانت خاتمة مشاوراتهم تتفق على أن يعبر « براق » نهر جيحون فى الربيع، وأن يقود جيشا إلى إيران ، و يستولى على بعض ممالك آباقاخان حتى يصيرجنوده فى سعةمن المراعى والأملاك والأموال. فقال« براق»: « إذا كنتم متفقين على هذا القول فلنتعاهد ولنقسم عليه » . ثم تناولوا الذهب وفقا لرسومهم وتقاليدهم ، واشترطوا أن يقيموا بعد ذلك فى الجبال والصحارى ، ولا يحوموا حول المدن ، ولا يسوقوا الدواب إلى المزارع ، وألا يرهقوا الرعايا بمطالب غير عادلة . وقد اتفقوا كلهم على هذا القرار (ترغاميشى كرده) ، وعاد كل منهم إلى موطنه .

ووفى« براق» بعهده مدة ، وأرسل مسعود بك ــ وفق مشورة الأمراء ــ إلى الولايات لاستمالة الرعايا ؛ فأعاد المواضع إلى ما كانت عليه من عمارة وزراعة ، وجمع أشتات الرعية ، وأخذت شئون ولايات ماوراء النهر تسير

نحو العمران بحسن كفاءته حتى عادت إلى عهدها الأول .

ولـكن« براق »مد يد التطاول والبغى مرة أخرى ،وأرهق الناس بشتى المطالب والمصادرات ، واغتصب جميع دواب ماوراء النهر ، واستحوذ على أمتعة الناس وأموالهم جورا وظلما لـكى يقصد إيران . فقال له مسعود بك : « ليس من الحـكمة الإقدام على مثل هذه الأعمال ، ذلك لأنه إذا لم يتيسر فتح تلك البلاد ، تـكون العودة متعذرة إلى هذه الديار » . فعدل «براق » عن هذه الفـكرة .

وكان آباقاخان فى سنة ٦٦٦/١٢٦٧ منهمكا فى نشر العدل والإنصاف فى بلاد إيران ، وكان يلازمه الأمير « تـكودار بن موجى بيه بن جغتاى » على رأس عشرة آلاف جندى ؛ وقد أعزه آباقاخان وأكرمه .

وكان «براق» قد بعث جماعة من الرسل إلى حضرة آباقاخان ، وأرسل معهم هدايا إلى« تـكودار اغول »، منها سهم يسميه المغول « طوغانه ». وحينما سلموه له استبشروا به للغاية ، وكانوا قد أخفوا فى هذا السهم ورقة ففتحها تـكودار فى الخلوة ، فوجد فيها رسالة جاء فيها : « ينبغى أن يعـلم تـكودار آقا أننى قد أعددت جيشا كامل العـدة ، وأننى سوف أتجـه إلى ولاية آباقاخان . فالمرجو ألا تـكون معه ، حينما يسير لصدنا ، وأن تتخلى عنه ؛ بحيث لاتـكون لديه فرصة لمقابلتنا ومواجهتنا حتى نستولى على أملاكه بكل طريقة ممكنة » .

فلما وقف تـكودار على مضمون الرسالة ، استأذن فى العودة إلى داره فى گرجستان ، فأذن له ، وذهب إلى هناك . ثم كشف ذلك السر لأمرائه .

وكان الرسل يصلون كل يوم من ناحية خراسان ، فيطلعون آباقاخان على أحوال « براق » ، وكان آباقاخان يستدعى « تـكودار اغول » للتشاور معه فى الأمور الهامة التى تتعلق بشئون الجيش والرعية . فأرسل إليـه عدة مرات رسولا بخصوص هـذا الأمر ، فـكان فى كل مرة ينتحل عذرا . وأخيراً قال للأمراء : « إنى أريد أن ألحق ببراق عن طريق در بند » . وسرعان ماتوجه إلى تلك الناحية ؛ فسار فى إثره « شيرا مون نويان » مع جيشه ، إذ كان فى تلك النواحى ، و بعث « ايناق » فى المقدمة ، وتبعهما « اباتاى نويان » بجيش آخر . فصادف أن تلاقى الجمعان على ربوة ، فانهزم « تكودار » من غير قتال ، وتوجه إلى دربند ، ولـكنهم كانوا قد قطعوا عليه الطريق ، فحار فى أمره ، ولوى عنانه إلى جبال گرجستان ، ودخل أجمة ضلّ فيها الطريق ، فأحاط أمراء الـكرج بالغابة ، وأرسل إليه الملك « داود » رسالة يقول فيها : « ليس فى هذه الأجمة طريق للخروج فعد ، ولا تقلق نفسك » . فخرج من تلك الغابة عملا بقوله . ثم لحق به « شيرامون » مع جيشه ، فقتل من جنده مقتلة عظيمة ؛ وأسر طائفة منهم . وفى النهاية اضطروه للخضوع فى رمضان سنة ٦٦٨/١٢٦٩ . وقد بلغ مع أهله وعياله حضرة آباقاخان فى ربيع الأول من تلك السنة ، فعفا عنه الملك بفائق عطفه ، وأعدم الأمراء الستة الذين كانوا موضع أسراره ، وقسم جيشه

مائة مائة وعشرة عشرة ، وأوكل به خمسين مغوليا لمراقبته . وقيل إنه سجن فى مكان على ساحل بحر « كبودان » ، و بعدسنة ـ حينما هزم « براق » ـ نجا من الحبس ، وكان يتردد على المعسكر حتى مات .

وقد أرسل براق رسالة إلى «تبشين» اغول متهورا متكبرا ، يقول فيها : « إن صلة القربى لا زالت ممهدة من الجانبين ، وإن مروج بادغيس حتى باب غزنة وضفاف نهر السند ، كانت مراعى لآبائنا وأجدادنا . فيجب أن تخلى بادغيس كى ينزل فيها حشمنا » . فأجاب تبشين : « إن هذه الولايات هى ملك سيدى آباقاخان الذى هو ملك إيران ، وقد منحنى إياها . فينبغى ألا يلقى براق آقا القول جزافا ، وأن يلزم حده » . ثم أرسل رسولا إلى حضرة آباقاخان ، فأطلعه على حقيقة الحال . فأجاب آباقاخان قائلا : « إن هذا الملك قد انتقل إلىّ بالوراثة عن أبى الصالح ، فهو ملكنا الخاص ، واليوم نحافظ عليه بالسيف . فإذا قصدنا براق فنحن على استعداد لصده . و إذا سلك طريق الموافقة والمصالحة فسنسلك معه نحن أيضاً طريقة صلة الرحم والقربى » . فلما سمع براق بتلك الرسائل ، انتفض غضبا ، وأمر بتجمع الجيوش ، وتوجه إلى خراسان وهو على تمام الأهبة ؛ وأرسل رسولا إلى «قايدو» ، وطلب منه المدد تنفيذا للعهد السابق . فبعد أن تشاور قايدو مع الأمراء ، أرسل « قبجاق اغول بن قدان بن أوكتاى » ، «وچبات اغول بن هوقو بن كيوك خان ابن أوكتاى » مع جيوشهما الخاصة وقال لهما : « عندما يعبر براق النهر ، و يبادر

تبشين اغول بقتاله ، انتحلا فى هذه الحالة عذرا وعودا ؛ ذلك لأن آباقاخان سيتحرك عن قريب لصد براق بجيش لاطاقة للجبال بمقاومته» . وعندما وصلا إلى «براق»، تشاورا معه عدة مرات فى الخلوة، وانضم إليهما الملك «شمس الدين كرت» ، وتمكن فى قلوبهم عشر مرات كل أمر كانوا قد فكروا فيه ، وأمر «براق» بأن يسوقوا الدواب التى كانت لقو بيلاى قاآن وآباقاخان فى الولايات الأخرى ؛ حتى إنهم لم يتركوا الثيران العجوزة وأقاموا جسرا على نهر جيحون .

ثم ترك «براق» ابنه «بيكتمور» مكانه مع عشرة آلاف فارس فى كش ونخشب، وعبر النهر فلما بلغ «مروجوق» ، كان الأمير «تبشين» يترقب وصوله فى شهور سنة ٦٦٨ / ١٢٦٩ ، فتوجه لمحاربة «براق» مع أمرائه بموافقة «أرغون آقا». فلما سمع المدعو «سجكتو» وهو أمير ألف جندى من «أوجاور»، وكان تابعا «لقبجاق» ، أن «قبجاق» قد أتى إلى «براق» عاد ولحق « ببراق » وقال : « إن مراعيَ تابعة لقبجاق » فأحضروه عنده ، وقدم له الجياد المنتخبة العربية على سبيل الإعزاز والتكريم .

وقصارى القول أن «تبشين اغول» سار إلى مازندران ، وأرسل الرسل إلى حضرة آباقاخان لإخباره بوصول « براق » ، وقام « ارغون آقا » بتنظيم الجيش، وصار الجميع ينتظرون وصول رايات آباقاخان . ومن الجانب الآخر أمر « قبجاق » « سجكتو » بأن يقدم « لبراق» كثيرا من الخيل تكريماله.

وفى اليوم التالى قال الأمير «جلايرتاى» لقبجاق فى معسكر براق: « إن براق قد أتى مع عدة آلاف من الجنود ليحارب من أجلك ». فقال «قبجاق»: « تكلم بأدب . ماذا حدث ! . . . » . قال : « لماذا : لمْ يعد إليك سجكتو منذ مدة طويلة رغم صلته بك ؟ على حين أنه أتى اليوم إلى خدمة براق ! وأنك قد استحوذت على الجياد التى كانت تليق ببراق ، وأمرت بما يليق بك منها تسكر بما لبراق» . فقال «قبجاق» : «من أنت حتى تتدخل بيننا نحن أفراد الأسرة الواحدة» فأجاب « جلايرتاى » : « إننى لست عبدك حتى تقول لى من أنت . إننى عبد الملك براق » . فقال «قبجاق» : « متى كان لأفاق أن يناقش أسرة چنگيزخان حتى يكون لك أيها الكلب أن تخاطبنى بغير أدب ! » . أجاب « جلايرتاى » : « إذا كنت كلبا ، فإنى كلب براق لا كلبك ! فالزم حدك ، وتول أمرك » . فاهتاج « قبجاق » غيرة وقال : « أتجيبنى بقحة لو قددتك نصفين فماذا عسى أن يقول لى براق من أجلك؟ » . فمد « جلايرتاى » يده إلى المدية وقال : « إذا طعنتنى بالسيف ، فلأشقن بطنك بالمدية » . فتألم «قبجاق» أشد الألم ، ولم يتكلم « براق » قط ، فعرف «قبجاق» أن «براق» يؤيد «جلايرتاى» ، فخرج غاضبا غضبا شديدا ، وكانت المسافة مما يلى قنطرة «مروجوق» حيث كان معسكر «براق» حتى موطن « قبجاق » نحو ثلاثة فراسخ ، فقصد «قبجاق» إلى داره ، وأخبر الأمراء بما حدث ، فتأثر الأمراء كثيرا ، وركب ليلا مع بعض خاصته تحت ستار الصيد ، وترك رحله هناك ظانا أن

« براق » لا يتعرض لأسرته عندما يعلم بارتحاله .

سار «قبجاق» فى ألفى فارس.وقد ماتت زوجته المسماة « بناى» فى تلك الليلة . ثم بعث إلى « براق » يخبره بأنه رحل مع جنوده بسبب ألمه من «جلاير تاى» ، والجهة التى توجه إليها ليست معلومة. فقلق « براق» لذلك ، كما اضطرب جنوده وانزعجوا خشية أن يداهمهم ليلا . فأمر « براق » بتعبئة الجيوش،وفى الصباح كلف إخوته «مومن» و «ياسار» و «إياجى» بيتكچى بأن يسرعوا فى إثره . وعندما يلحقون به يعيدونه بالنصح والحسنى إذا أمكن ذلك ، و إلا يماطلونه بكل وسيلة ريثما يصل «جلاير تاى» الذى سوف يقدم مع ثلاثة آلاف فارس ، فيعيده قهرا ، ثم سار هؤلاء الثلاثة « وجلاير تاى» من ورائهم ومعه ثلاثة آلاف فارس بحيث لم تكن المسافة بينهم أكثر من فرسخ . وكان « قبجاق» قد سار فى تلك الليلة عشرة فراسخ ، وتوقف فى الصباح ، وسرح الخيول للعلف . ثم سار بعد أن تناول الطعام ، وكان قلقا خائفا من جيش «براق» ، ولكنه كان يقول : « لو عجلنا السير فإن الخيول تكل ، فينبغى أن نسير بتأنٍّ وهدوء » . وفى اليوم الثانى وصلوا على مقربة منه بحدود مرو ، وأرسلوا إليه شخصا يقول : « إننا قادمون من لدن براق آقا ، فتوقف لحظة لنبلغك قوله » . فبعد أن وقف على مضمون الرسالة رد يقول : « إنه ليس فى قلبى أى تأثر من براق آقا ولا منكم ، ولكنى لم أستطع احتمال كلام الأفاق ، وسوف أعود بجيشى كما أتيت ،

وسأذهب إلى قايدو آقا . فلا تتعبوا أنفسكم وعودوا ، فإنى سوف أذهب لا محالة » .

وفى أثناء ذلك وصل «مومن» و «ياسار» و «إياجى» فتعانقوا مع «قبجاق» وبكوا وقالوا : « لقد أوفدنا براق آقا يقول : إن قايدو أرسلك أنت وجبات لمساعدتى، وإنك لم تسمع منى كلاما يؤلم الخاطر ، وكنت تتحدث مع جلايرتاى، وخرجت غاضبا دون أن تسمع جوابى ، وكنت قد عزمت على عقابه فى اليوم التالى ، فعلمت أنك تأثرت وغضبت وارتحلت ، فينبغى أن تعود ثانية ، فإن الحال سيكون كما تحب وتهوى ، وسأعاقب جلايرتاى » . فأجاب «قبجاق» : « إنى لست طفلا حتى أخدع بالكلام المعسول ، كنت قد أتيت بناء على أمر قايدو . فلما لم تقبلونى عدت إلى دارى ، وتركت المعسكر والأتباع هنالك، فابعثوا بهم من ورائى سالمين ، وإلا فسأستولى على معسكركم وكل ما تملكونه عوضا عما فقدت » .

فلما عرفوا أنه لن يعود قالوا له : « كيف ترحل ونحن عندنا بعض الشراب . سنشرب معك كأسا ثم نعود » . فأجاب «قبجاق» : « إن الشراب يشربُ فى وقت السرور ، ولابد أن الجيوش تسير فى إثركم ، فأنتم تريدون أن تشغلونى بالشراب حتى يصل الجنود، فخير لكم أن تعودوا وإلا فسأسير بكم . وإذا تعقبتنى كل جيوش براق فلن تستطيع إعادتى » ، ولما وجدوا أن «قبجاق» قد بادرهم بالشدة تدبروا الأمر قائلين : « ينبغى ألا تظهر

حركاتُ الجيـوش ، فيلقى القبض علينا » فأنهوا حديثهم عنـد هـذا الحـد ، وعادوا .

سار «قبجاق» بسرعة فائقة،ودخل صحراء جيحون. وفى عشية ذلك اليوم لحق « جلاير تاى » « بمومن » و«ياسار» ، فشرحا له حقيقة الأحوال . وأراد «جلاير تاى» أن يتبع «قبجاق». فقالا له: « لعل قبجاق يكون قدولج الصحراء. ولو أنك لحقت به أيضا ، فلن تستطيع أن تفعل شيئاً ».فسار نحو « ناموس » فى إثره ، ووافقاه على ذلك ، فلما بلغوا حافة الصحراء تبين أنه قد غادرها ، وأن جيوشهم ليست مستعدة فعادوا جميعا، وجاءوا إلى « براق»، وشرحوا له ماجرى فأعاد «براق» أتباع «قبجاق» سالمين . فلما سمع «قبجاق» بذلك لم يتعرض لأتباعهم لـكنه اعتقل أبناء « مسعود بك » ، واعتدى عليهم وآذاهم .

ثم أرسل إلى آبا قاخان رسالة معلنا عودته إليه . ومن ثم تمهدت قواعد الصداقة بين آبا قاخان ، و «قايدو» . وكان يدعو كل منهما الآخر الصاحب والرفيق « اورتاق » . وعندما بلغ « قبجاق » حـدود بخارى ، أرسل إليه «بيكتموراغول بن براق رسالة من كش ونخشب يقول فيها : « أريد أن أسعد بلقائك » . فـلم يلتفت « قبجاق » إلى ذلك ومضى . وحينما بلغ « قايدو » ابتهج بلقائه وشمله بعطفه .

وكان « براق » يحافظ على « جبات» بعد رحيل« قبجاق » .

ولـكن «جبات» كان يتحين الفرص إلى أن سار « براق» شطر هراة ، فهرب هو الآخر مع جنوده . وبعديومين علم « براق» بالأمر فتشاور مع أمرائه. قالوا : « إننا جئنا إلى خراسان للقتال ، ولم نتقابل مع العدو حتى الآن . فلو سرنا فى أثره أو أرسلنا جيشا فإنه لن يعود ، بل يصمد لقتالنا ، فيهلك الجنود من الفريقين ، وينشب العداء بيننا وبين قايدو . إن قبجاق وجبات قد ذهبا برغبتهما . فلنرسل رسولا إلى قايدو يقول : إنك قد أرسلتهما معنا ليمدونا وقت الحرب مع الأعداء فنكلا عن طاعة أوامرك قبل أن يلحقا بالعدو ، وعادا من تلقاء نفسيهما ، فينبغى أن تعاقبهما » .

ثم أوفدوا الرسل على هذا النحو . ولما بلغ « جبات » حدود بخارى أقام عدة أيام على ضفاف نهر «حرام كان»، فذهب أمراء بخارى مع «تاز يك آقا» إلى «بيكتمور» اغول، وعرفوه بوصول جبات. فقال «بيكتمور» «لتاز يك آقا»: « إنك لم تستطع صده مع خمسمائة من الفرسان المغاوير » . فأجاب «تاز يك» : « إن جبات أمير وأنا من الرعية ، فكيف يكون لى أن أحار به » . فركب « بيكتمور » ، وهاجم «جبات» فجأة ، ولـكنه هرب مع عشرة من أتباعه ، وهدم قنطرة نهر « حرام كان » وقتل بقية جنوده . ثم تعقبته جنود « بيكتمور » إلى مسيرة ثلاثين فرسخا فلم يلحقوا به .

تشاءم «براق» لهرب «قبجاق» و«جبات» ، ولـكنه فرّق المراعى على جنوده، وأمرهم بألا يركبوا الخيول، وبأن يريحوها حتى تسمن، وأن يعمد هؤلاء

الجنود إلى اللهو والطرب لكى يستردوا نشاطهم ، وأن ينتقلوا على الثيران والحمير بدلا من الخيول. ثم منح «ييسور» مرعى باد غيس بهراة ، وأما «مرغاول» الذى كان سندا وظهيرا لهؤلاء الجنود ، فقد أقامه مع جيش على طريق نيسابور وطوس لأنه كان غازيا مظفرا ، وخبيرا بالطرق ، وحتى يكون هذا الرجل فى مقدمة جيشه إبان السير إلى العراق ، وأما هو فأقام فى طالقان . وفى ٢٦ رمضان سنة ٦٦٨/ ١٢٧٠ نزل جنود« براق » فى نيسابور ، وأعملوا فيها القتل والنهب،وارتحلوا عنها فى اليوم التالى،وعهد «براق» إلى أحد الأمراء بنهب هراة وقتل سكانها . فقال «قتلغتيمور»: «إن هذا التصرف بعيد عن الصواب ، إذ أن حاكمها الملك « شمس الدين كرت » سيتمرد لهذا السبب . وسوف يُنَفِّر منا أكابر إيران بسبب شكاياته ، والمصلحة أن أبادر أنا بالذهاب إليه وأحضره » . فاستحسن براق قوله ، وأرسله مع خمسمائة فارس لإحضاره . فلما بلغ هراة ، خرج الملك « شمس الدين » إلى «بارى» لاستقباله ، وقدم له أقمشة حريرية وهدايا ، ثم ذهب « قتلغتيمور » إلى الملك «شمس الدين» فى قلعة «خيسار» ، وأبلغه رسالة براق التى يقول فيها : « إننا قد حضرنا واستولينا على خراسان ، ونريد السير إلى العراق وآذربيجان و بغداد فلو قمت على خدمتنا ، فإننا لا محالة سوف نشملك بعنايتنا ، ونقطعك بلاد خراسان كلها». فقال الملك «شمس الدين» : « سمعا وطاعة ». وبعد يومين سار بصحبة قتلغتيمور ، ومثل أمام « براق» ، فرأى جنودا قد امتلأت صدورهم بالحقد،

وجميع أقوالهم صادرة عن التهور والصلابة ، ومعبرة عن الميل الشديد إلى القتل والغارة ، ومصممة على السير إلى تبريز و بغداد فدهش لهيبتهم . غير أن براق اختصه بأنواع العناية وقال له « إننى قدمنحتك بلاد خراسان ، وكل ما استولى عليه بعد هذا سأفوض إليك أمره » . ثم سأله على الفور : « من هم الأثرياء بخراسان لكى تُسجل أسماؤهم فى سجل ؟ » . ولما كان الملك « شمس الدين» داهية ذكيا للغاية ، فقد تنبأ بأن مثل هذه الفكرة سوف تكون سببا فى زوال دولة براق .

ومهما يكن فقد جعل « براق » تحت إمرة الملك « شمس الدين كرت» جمعاً من المغول وقال له : « خذ من أثرياء هراة الأموال والأسلحة والدواب » . ثم استأذن الملك فى الانصراف ، فلما بلغ المدينة استقبله أهلها ، فأطلعهم على أوامر « براق » فيئسوا جميعا من أرواحهم ودورهم وأموالهم . وفى أثناء ذلك وصل خبر من العراق ينبئ بأن آباقاخان قادم بجيش جرار . فدخل الملك القلعة ، وظل متوقعا قدوم جيش آباقاخان وهو مطمئن البال . ثم اتجه آباقاخان من هذه الناحية — مع جميع إخوته عدا « تبشين » ، ومعه الأمراء وأركان الدولة وجند لا يحصى — شطر العراق وخراسان ، ورحل من « قونقديبل ميانه » من ضواحى آذر بيجان فى يوم الأحد ٤ من رمضان سنة ٦٦٨/ ١٢٧٠ ، وفى تلك الأيام كانت المزارع قد نضجت سنابلها ، فأمر لكمال عدله بألا يمد مخلوق يده نحو سنبلة من السنابل .

ولما بلغ موضع «شرو ياز» التى يدعونها «قونقور أولانگ» ، لحق به الرسول «تكاجك» الذى كان موفدا من قبل «قوبيلاى قاآن» ، وكان براق قد اعتقله ، فانتهز الفرصة وفر مسرعا ، وشرح لآباقاخان أحوال براق على حقيقتها ، و بيّن له أن جنوده مشتغلون دائما بالشراب واللهو ، وأن خيولهم أصبحت هزيلة ، وأن براق لا يعلم شيئاً عما جرى «لتكودار اغول» ، فجد آباقاخان فى السير ، وبعد أن جاوز الرى استقبله الأمير «تبشين» و«ارغون اقا» ، وقدما إلى الحضرة فى قومس ، وشمل آباقاخان «سلطان حجاج كرمان» ومن فى صحبته جميعا برعايته واختصهم بإنعامه ، وتشرف الأمير «أرغون» هنالك بتقبيل يده ، ونال العطف البالغ . ثم رحلوا من هناك إلى مرج « رادكان » . وفى تلك المنطقة منح الجنود الدراهم والدنانير الكثيرة ، كما خلع على الأمراء ، وقواهم بوعوده الطيبة . ثم سار إلى ياخرز ، وأرسل « قبرتو بهادر » للاستطلاع والتجسس ، فلم يستطع الاقتراب من العدو ، وقفل راجعا ، فأرسل للمرة الثانية « تو بجاق بهادر» و « نيكباى بهادر» مع مائة فارس من موضع فارياب ، فطلعوا عليهم ، وقطعوا عليهم الطريق حتى لا يستطيعوا العودة ، ولكن هؤلاء داهموهم وقتلوا منهم كثيرين وعادوا سالمين ، وشرحوا الأحوال التى كانوا قد وقفوا عليها . وقد شغل آباقاخان بتدبير مصالح الجند الخاصة بشئون السيادة . ثم أرسل « يشموت اغول» وعيّنه على الميسرة ، وجعل « ابتاى نويان» فى القلب ، وسير الأمير « تبشين » إلى ناحية قنطرة «جقجران» التى كانت موطنا «لمرغاول» . فلما وصل إلى هناك

داهم حرس «مرغاول» ، وقتل بعضهم ، ونهب رحل « مرغاول » ، فذهب هـذا إلى براق ، وأخبره بوصول الجيش ، فقال براق : « إذا كان تبشين وأرغون آقا قد قدما للحرب مرة ثانية ، فقد سبق أن جربناهما ، و إذا كان القادم آباقاخان فذاك أمر آخر . اذهب أنت واعترض طريقهم حتى ندبر نحن أمر الجيش .

ثم اتجه آباقاخان نحو مشاهد الأولياء وقبورهم ، وكان يطلب العون والمدد من الله فى تضرع وخشوع . ولمـا بلغ بادغيس أرسل رسولا ذكيا فصيحا إلى براق يقول له :

« إننا قدمنا من العراق إلى خراسان، وخففنا عنك تعب السفر ومشقته . واعلم يقينا أن ملك العالم لا ينال بالظلم والطغيان ، بل ينال باستمالة الرعيـة ورعاية أحوالهم والمحافظة على الحدود ، والعمل بأوامر الله ونواهيـه . ويجب على العاقل أن يحذر و يجتنب أمرا تـكون عواقبه وخيمة . والحال أنك :

قد أضرمت نارا وأحرقت مدنا ،

فمن تعلمت حـكم الدنيـا ؟!

ومع هذا فإنك لو أردت أن يزول الخصام من بيننا ، فاختر واحدا من ثلاثة : أولا ــ الصلح لـكى أمنحك غزنة وكرمان إلى ضفـاف نهر السند . ثانيـا ــ أن تعود بالسـلامة إلى ديارك و بلادك ، ولا تدع خيـال المحال يتطرق إلى خاطرك . ثالثا ــ أن تتأهب للقتال :

إما أن ينقى جـــوهر السيف الدم ،
وإما أن ترتفع شعـلة الإقبـــال والصفاء »

ففكر براق برهة ، ثم قال لأمرائه :

إنه قد جعل نصب عينىّ بالتهديد طرقا ثلاثة ،
فانظر كيــف ينصحنى العــــدو الحاقد !

فأى طريق تختارونه من هذه الطرق الثلاثة ... فأجاب «ييسور» الذى كان مقدما على الأمراء برأيه وتدبيره : « إن المصلحة فى الصلح ، فإن قبجاق وچيبات قد عادا ، وخيولنا هزيلة ضامرة ، أما هم فلديهم كافة المعدات. فمن الخـير أن نسير إلى غزنة حيث نقيم عاما أو عامين ، لأنه لن يصيبنا عار من الإقلاع عن القتال ؛ إذ أن آبا قاخان ملك عظيم ، والصلح معه فخر لنا . ويمكن أن نلتمس منه أشياء أخرى كثيرة ليبذلها لنا » . فغضب «مرغاول» من هذا الـكلام وقال : « لا ينبغى أن يذكر الفأل السيئ فى حضرة الملوك ، ويجب ألا ندع للخوف سبيلا إلى نفوسنا . أين هو آبا قاخان ! إنه قد سار مع الجيش إلى الشام ومصر ، وإن تبشين اغول وارغون آقا هما اللذان دبرا هذه الخديعة ، وأذاعا بين الناس إشاعة وصوله » . وقال « جلاير تاى » : « نحن قدمنا للقتال . ولو كنا نريد الصلح ، لكان أولى بنا أن نعقده فيما وراءالنهر » . فوافق براق على ما قاله « مرغاول » و « جلاير تاى »، واتفقوا على القتال ، وكان فى صحبته منجم اسمه « جلال » ، فطلب إليه براق أن يختار الوقت

المناسب . فأجابه : « إنك إذا تأخرت شهرا يـكون أصلح لك » . ولـكن « براق » لم يوافق على التأجيل ، وتميز « جلاير تاى » غيظا وقال : « أية قيمة لسعد النجوم ونحسها ، لا سيا عندما يقترب الخصم القوى » ، وتكلم « مرغاول » أيضا بمثل هذا الـكلام ، واستقر رأيهم على أن يقاتلوا ، وأن يبادروا بإرسال الجواسيس ، ليتحققوا ما إذا كان آبا قاخان قد جاء بنفسه أم لا .

وقد ضاق المرعى فى « باد غيس هراة » لعلف الدواب من جانبنا . وقال آبا قاخان للأمراء : « إن براق جاء لفتح العراق متحمسا ، لـكنه سرعان ما فترت عزيمته عن مقابلتنا ومحاربتنا . والآن ليس له رأى فى الصلح ولا قدم للحرب . وقد أمر آبا قاخان بنهب هراة . لـكنه أشفق على أهلها وعفا عن ذنوبهم ، فارتفعت أيدى سكان هراة بالدعاء يطلبون الظفر والنصر له من الحق تعالى . وكلف آبا قاخان الأمير « توغوز » بأن يختار ميدانا مناسبا للقتال ، فاختـار « توغوز » صحراء واسعة كانت تقـع على سفح الجبل ، وبجوارها ماء يطلق عليه المغول اسم « قراصو » ، وهناك وجد ثلاثة من الجواسيس فاعتقلهم ، وأحضرهم إلى حضرة آبا قاخان ، فصدر الأمر بربطهم إلى عمود الخيمة . ثم استجوبوهم بكل تهديد . فقال أحدهم : « إنى سأبين بالصدق جميع الأحوال على حقيقتها . إن براق لا يعلم شيئاً قط عن وصول آبا قاخان ، و إن أمراءه لفى ظنون ، فبعضهم يقول إن تبشين وارغون آقا قد جمعـا جيشا ، وأشاعا أن آبا قاخان قادم ، فأرسلونا لنستطلع الأخبـار ، ونوافيهم بها » .

فلما اطلع آباقاخان على حقيقة أحوالهم ، فكر بدقة بالغة ، ودبر تدبيرا معقولا ، وخرج من السرادق ، واستدعى مغوليا كبيرا جلدا فصيحا ، وتواطأ معه على أن يأتى مسرعا إلى الحضرة على هيئة الرسل ، ويكرر الأقوال التى اتفقا عليها . وبعد مدة عاد آبا قاخان وجلس على العرش كالمعتاد واشتغل مع الأمراء بالمرح واللهو . وبعد انقضاء ساعتين من الليل ، دخل ذلك المغولى الذى كان قد تواطأ معه ، وهو مدجج بالسلاح، بينما كان الملك والأمراء مشتغلين بالحديث عن براق ، فقبل الأرض وقال : « لقد انقضت ثلاثةشهور على ابتعاد الملك عن المعسكرات ، فقام العصاة والأعداء فى جوانب المملكة وأطرافها ، وانهال من دربند قبجاق جنود كالنمل والجراد ، فنهبوا المعسكرات وبيوتات الأمراء ، ولم يبقوا على شىء فى تلك الديار بسبب القتل والنهب ، وامتدت جيوش الأجانب من دربند إلى بلاد الأرمن وديار بكر برمتها . فإن لم تسارع بالعودة ، فلن تجد المعسكرات والممتلكات والرعايا » فلما سمع الأمراء هذا الكلام ، ذهلوا جميعا واضطربوا وأوجفت قلوبهم خيفة على بيوتهم وأبنائهم ، فقال آبا قاخان : « نعم ما فعلنا ...!! إذ أننا نحافظ على مدينة هراة من الأعداء ، بينما تركنا شئون ولاياتنا ورعايانا ومعسكراتنا وما يتعلق بنا فى يد هؤلاء الأعداء ، فالرأى أن نعود فى هذه الليلة لننقذ النساء والأطفال ، وبعد أن نفرغ من أمرهم ، نعود فنتوجه إلى هذه الناحية لصد براق .

وفى الحال نفخوا فى الأبواق ، ورحلوا إلى طريق مازندران ، عازمين

على أن يصلوا إلى حدود تبريز بعد عشرة أيام ، وكانت الصحراء كلها مليئة بالخيام والسرادقات ، فتركوها على حالها . ثم أوعز إلى أحد الأمراء بقتل هؤلاء الجواسيس الثلاثة ، ولكنه أمر هذا الأمير سرا بأن يقتل اثنين فقط ويطلق سراح الثالث ، فنفذ الأمير ذلك الأمر . ثم ارتحلوا من هناك ، ونزلوا في اليوم التالي في صحراء « جينه » التي كانوا قد اختاروها ساحة للقتال ، وأرسل إلى مدينة هراة رسولا إلى القاضي « شمس الدين » « بيارى » يقول : إن الأوامر تنص على أنكم لا تخرجون غدا لاستقبال براق ، ولا تفتحوا البوابات حتى تتحقق لدينا طاعتكم وإخلاصكم . أما الجاسوس الذى كانوا قد أطلقوا سراحه ، فقد أخذ فرسا فى أثناء ذلك ، وركب على الفور ولاذ بالفرار . وكان من فرط سروره وقد ضاق عليه جلد جسده ، وذهب إلى بلاط براق مزهوا ، وأطلعه على أحوال آباقاخان ، وبشره ، ثم أدلى بحديث فراره وركوبه الفرس ومجيئه على سبيل المباهاة والافتخار ، وبطريقة سخرية وبعبارة مضحكة قال : « فى هذا الوقت لا يوجد فى تلك الصحراء غير الخيام والسرادقات والأقبية والقلانس والأحزمة » . ففرح براق فرحا شديدا ، وصار ضاحكا وقال لنفسه : مصراع :

أهذا أراه فى اليقظة يارب أم فى المنام

ثم سأل الجاسوس عن نظام الأمراء والجند واستعدادهم وشجاعتهم وقوتهم فأجاب : « إنهم يملكون أسلحة ودوابا كثيرة ، ولكن ليس فى الأمراء شجاعة

فائقة » . فاستبشر « براق» وتقوى للغاية ، و بادر «مرغاول» و«جلاير تاى» بتهنئته ، وأخذ الملك والجيش يتبادلان البشائر بالفتح والظفر ، ثم ركبوا فى الصباح برمتهم بهيبة وصلابة بحيث كانت الجبال والسهول تهتز لتحركهم، فلما اقتربوا من مدينة هراة ، تقدم الأمير « مسعود» مع نفر ، ولـكنه وجد البوابة مغلقة ، فاستدعى والى المدينة القاضى «شمس الدين» فى « بارى» فحضر ، وأدى واجبات الاحترام للأمير من سطح الحصن . فسأله الأمير : « ما السبب فى غلق الأبواب » فقال القاضى : « إن آباقاخان عند مروره قد سلمنا المدينة ، وقال : « لا تفتحوا البوابات فى وجه الأعداء ، وأخذ الأيمان علينا على تنفيذ ذلك . و إن المخدوم ليعلم أن نقض العهد أمر مذموم ، وأن الحانث يؤاخذ و يلام فى الدنيا والآخرة » . فقال « مسعود بك » : « إن من مصلحتكم أن تفتحوا أبواب المدينة ، وتقدموا ماعندكم لغذاء هؤلاء الجنود ، وتعرضوا عجزكم وضعفكم على الحضرة . و إلا فإنى أخشى عليكم من عواقب هذه الجرأة . ولا ينبغى أن يلحقكم من هذا الجيش المنتقم سوء ، وعندئذ لا ينفع الندم» .فأبوا ، وعاد « مسعود » ، وأطلع «براق » على عصيان أهل هراة ، فغضب « براق » غضبا شديدا ، لـكنه لم يلتفت إلى ذلك لفرط سروره بفرار جنود آباقاخان .

و بعـد أن عبروا نهر هراة ، شاهدوا الصحراء كلها مليئة بالخيام والسرادقات ، ففرحوا للغاية ، ونهبوها جميعها ، ثم نزلوا ناحية جنوب هراة ، وأمضوا ذلك اليوم فى المتعة والسرور ، وركبوا فى صباح اليوم التالى ، وما أن

ساروا فرسخين حتى شاهدوا صحراء واسعة لا نهاية لهـا ، كأنها بحر ممتد يموج بالجنود والجيوش العديدة ، فتبدل فرح «براق» غما ، ونزل عند ساحل «هريوه رود» على ضفـاف قراصو . ثم أقاموا معسكرا على مقربة من القنطرة .

و بعد نزول «براق» ، استدعى آباقاخان الأمراء وقال لهم : «إننى قد أوقعت براق فى الشرك بالرأى والتدبير ، فيجب أن تتوجهوا الآن للقتال متحدين متآزرين من أجل الدفاع عن حياتكم وحياة نسائكم وأبنائكم ، وحفظا لسمعتكم وشرفكم ، ورعاية لسوابق حقوق آبائنا وأجدادنا ، وعليكم أن تبعدوا عن خواطركم التلكؤ والتردد ، وأن تبذلوا قصارى جهودكم ؛ فإن الموت فى الحرب مع الشرف والكرامة ، خير من الحياة مع العار وشماتة الأعداء . وإنى لأرجو الله تعالى فى حالة ما إذا حملنا على براق متحدين متفقين ، أن يوفقنا إلى خذلانه وهزيمته ، فنعود مظفرين منصورين» . وما أن انتهى الملك من كلامه حتى تعالت أصواتهم جميعا :

إنك ملك ونحن العبيد ،
قد خضعنا لأمرك ورأيك

وهكذا اتفقوا جميعا على السير دون رياء أو تردد ، وتوجهوا للقتال . وقد سلم «آباقاخان» «تبشين أغول» ميمنة الجيش ، وكان معه «سمـاغار» و «هندويان» ، وعهد بالميسرة إلى «يشموت» و«سونتاى» و«أرغون آقا»

و « شيكتور نويان » و« بورلتاى » و«عبدالله آقا» . وكان جنود كرمان ويزد بما فيهم «سلطان الحجاج» والأتابك و « يوسفشاه» تابعين لجيش أرغون آقا ، وأقام أباتاى نويان وجماعة من الأمراء فى قلب الجيش المسمى بالمغولية «قول» .

فلما شاهد براق الباحث عن الغزو والشهرة مثل هـذه التعبئة ، انفعل انفعالا شديدا وقال : « لقد كان ظننا خطأ وخيالنا باطلا » . فكان الأمراء يهونون عليه الأمر ؛ إذ قال له « مرغاول » : « إننى أشتت هـذا الجيش بحملة واحدة » . وقال له جلايرتاى : « إننى أفتت هذا الجيش بمائة رجل ، وأحطم القلب والجناحين :

إننى أقـــدم اليوم على عمـــل ،
يقضى على آجال المشاهير دون ريب

إن جنود قايدو ومنكو تيمور قد هربوا من سطوتك ، وهذا الجيش ليس بأقوى منهم ، ولكن العيب فى أن خيولهم مجهزة ، على حـين أن خيولنا هزيلة عجفاء . ثم إنهم قطعوا علينا طريق الماء » . فقال مرغاول : « سوف أبادر باستخلاص المياه » .

وهكذا أعدوا الجيش من الجانبين ، واصطف الجنود صفوفا ، وكان مرغاول يجول يمنه ويسرة ، ويكر ويفر . وفجأة صوب حكم الفلك سهما إلى صدره الملىء حقدا :

عنـــدما قبّلت النشابة إصبعـــه ،

مـــــــرت بفقـــــرات ظهـــــره .

فقال الفلك : لتنزل الرحمة على تلك اليد ،

ومرحى مائتى مرة لذلك الإبهـــــــام .

فذهـل براق وجنوده لمقتـل مرغاول ، وخارت عزيمتهم ، ولـكن «جلاير تاى» حياه وقال : « إننى سأضرب بنفسى هؤلاء الجنود وأهزمهم» . ثم أرخى العنان لفرسانه ، وهاجم الميسرة ، وداهم أرغون آقا وشيكتور نويان ويوسف اطاى وعبد الله آقا ، وقتـل كثيرا من جنودهم ، وألقى بهم على الأرض ، وانهزم الباقون ، فتعقبهم جلاير تاى نحو أربعة فراسخ حتى «بوشنگ هراة » ، ولـكن عندما أراد العودة لم يستطع أن يجمع جنده ، لأنهم كانوا قد تشتتوا بالألوف وبالمئات .

وكان اباتاى قد وقف فى القلب من هذا الجانب ، ولا تزال الميمنـة ثابتة فى مكانها . فلما تحطمت الميسرة ؛ أمر « آباقاخان » بأن ينتقل بشموت إلى الميسرة ، وأصبح الجيش مرة ثانية منظما ومرتبا حسب القاعدة المقررة . فخاف «جلاير تاى» وهرب ، ويئس براق . وقد أرسل آباقاخان « بولاتمور» فى إثر «جلاير تاى» ليقتل كل من يصادفه ، ثم صاح فى جنوده قائلا : « إنه ليوم الفخر والشرف » . فحمل الجنود حملة رجل واحد ، واستعملوا السيوف والرماح ، وكانوا يضربون يمنـة ويسرة ، ويلقون بالأعداء إلى الأرض . أما « سنتاى نويان » الذى كان فى التسعين من عمره فقد ترجل ، وجلس على

كرسى بين الجيشين ، وقال للأمراء والجنود : « لقد تناولنا نعمة آباقاخان لمثل هذا اليوم ، فلا مفر من الموت ، ولو أنهم قتلوا سنتاى ، فإنهم يكونون قد قتلوا شيخا فى التسعين من عمره ، فإذا تركتمونى وشأنى ، فكيف يمكن النجاة لأزواجكم وأطفالكم من أسرة آباقاخان وعشيرة جنگيزخان . فقاتلوا بشجاعة هذه المرة ، وأخلصوا قلوبكم لله كى يمنحنا الظفر والنصر » .

وصفوة القول أنهم حملوا على أعدائهم ، وكانوا يقاتلون قتالا شديدا حتى هزموا براق فى الحملة الثالثة ، وبقى مترجلا ، وصار ينوح وينتحب ، ويدعو الأتباع ، فلم يلتفت إلى كلامه أحد من جيشه . وأخيرا عرفه رجل اسمه «سالى» من « كزيكتانان» فترجل وأركب « براقا » فرسه ، وطلب من براق سهما ، فأخرج عددا من السهام من جعبته وألقاها إليه ، ثم سار فبلغ جيشه فى اليوم التالى ، فخرج إليه كل من كان حيا ، واجتمعوا عنده وهم مترجلون عرايا .وكان قد عبر النهر كل من نجا من أسرته ، ولم يقيموا فى مكان معين إذ كان جنود آباقاخان يطاردونهم يمنة ويسرة ، ويقتلون ، ويأسرون كل من يجدونه . وقد استسلم «هولكون» ابن أخى « ايلكاى نويان » مع ألفى فارس ، ودخل فى طاعة آباقاخان . ولولا شجاعة «جلاير تاى» وجرأته لما نجا أى رجل من أتباع براق ، فإنه كان يجمع المنهزمين ، ويقودهم فى رمال جيحون ، وكان يقف للقتال عندما يقترب منه جنود العدو ، وكان يثبت فى مكانه حتى يتقدم المنهزمون ثم يستأنف السير . وبهذه الطريقة أنقذ طائفة منهم من الهلاك ، واصطحبهم

معــه . وكان فى ذلك الطريق جوسق خرب التجأت إليه كتيبة الفرسان ، فقذفتهم جماعة جنودنا (أى جنود آباقاخان) بالنبال ، ولـكن ذلك لم يجد نفعا ، إلى أن وصلت راية آباقاخان فجأة ، فأمر بأن يضعوا حول ذلك الجوسق حطبـا كثيرا ، وأضرموا فيـه النيرانـ حتى احترق جميع من بالجوسق .

بعد ذلك عاد آباقاخان مظفرا منصورا ، وعهد ببلاد خراسان وما زندران حتى ساحل نهر جيحون إلى أخيه « تبشين اغول » ، وشمل أهل هزاره برعايته ، وعاقب الأمراء الذين كانوا قد فروا منهزمين . وكان « عليناق » قد أبدى شجاعة فائقة فى تلك الحرب ، ولهذا السبب اشتهر وعلا صيته ، وكانت تلك الموقعة فى غرة ذى الحجة سنة ٦٦٨/١٢٧٠ والسلام .

حــــكاية

أحوال براق بعد هزيمته وعبوره النهر وتفرق أتباعه وجنوده وعاقبة أمره

بقى « براق » متحيرا مذهولا بعد انهزامه وعبوره النهر ، وشرع يعاتب أقاربه ، وفـكر فى تأديبهم وتعنيفهم ، وفى أثناء ذلك أصيب بالفالج بحيث لم يستطع الركوب ، فصـار يبتعد عنه أفراد الأسرة والأمراء الذين كانوا يخشونه منتحلا كل واحد منهم عذرا ، وأخذوا يعودون إلى ديارهم ، إلا أن

أحمد أوغول بن بورى بن جغتاى خالفهم، وسار بجيشه إلى « بيش باليق » ، فتألم براق وقال : « أية إساءة ارتكبتها فى حق هذه الطائفة ؟! إن هؤلاء قد نعموا مدة من الزمن فى ظل دولتى واقتنوا المال الوفير . وكانوا قد تشاوروا مع أفراد الأسرة والأمراء قائلين : لنعبر النهر ، وطالما كانوا يصرحون بقولهم : لنرحل إلى هنا وإلى هناك . لكنهم يوم القتال خالفوا قولهم وفروا وتركونى مترجلا بين الأعداء ، واليوم وقد اعترانى المرض ، يعرضون عنى . فإن شفيت فأين يستطيعون أن يذهبوا » ؟

فلما سمعت زوجته « نوكاخاتون » هذا الكلام قالت : « حيث إنك مريض ، فسأقود أنا الجيش وأقبض على أحمد ثم أعود به » . فاشتعلت الحمية فى براق بسبب هذا القول ، واستدعى الأمراء . وبعد استشارتهم أمر المدعو «ناولدار» من أمراء «هزار» بأن يسير إلى «منكقلا» فى إثر أحمد ، واستقل هو المحفة من ورائهم وأخذ يسير الهوينا مع جيش كثيف .

وبعد أن سار مرحلتين سمع أن « نيكباى بن سربان بن جغتاى » قد أقلع إلى خجند ، فأرسل فى إثره « تاليقو أغول بن قداقى بن بورى ابن مواتوكان بن جغتاى » على رأس جيش . فلما اقترب من بلدة « چاچ » ، بعث بأخيه « يسار أغول » برسالة إلى قايدو يقول فيها :

« إننى عندما توجهت إلى نواحى خراسان والعراق ، إنما سرت بجيش كبير وفق مشورة « قايدو آقا » وحاربنا « تبشين » على ضفاف

« جوقجوران » وانتصرنا . ولـكن قبجاق تأثر أثنـاء الشراب بقول تافه جرى بينه و بين « جلاير تاى » ؛ فترك المعسكر والدار وعاد أدراجه قبل أن أقف على حقيقة ما دار بينهما ، فأرسلت في إثره مومن وياسار وايلجى لاستمالته . وطالما بالغوا فى نصحه قائلين له : إننا قدمنا بناء على أوامر قايدو ، وأن العدو قد اقترب ، فلا يليق بك أن تعود ، لـكنه لم يستمع لـكلامهم ولم يعد ، ولهذا السبب خارت عزائم جيوشنا حتى إذا بلغنا هراة نـكص أيضاً چبات على عقبيه بلا مبرر ، ولحق بقبجاق ، فلم أرسل من ورائه أحدا لأننى كنت أعلم أنه لا يقبل النصح ، وقد يئول الأمر إلى القتال . ولهذه الأسباب تطرق الخلل إلى شئوننا ، فقدت الجيش نحو هراة . ثم وصل آباقا من الناحيـة الأخرى مع جيش جرار . ورغم أن جنودنا كانوا متأثرين بسبب ذهاب قبجـاق وچبات ، فإنه كان علينا أن نقاتل مكرهين . فلما التقينا داهم « جلايرتاى » ميسرتهم ، وألحق بهم الهزيمة . ولـكن مرغاول أصيب بسهم أثناء الحرب وقتل ، وهزم الجيش بأ كمـله ، وسقطت أنا من على فرسى ، وكان الجيش كله من الأمراء والقواد الذين كنت أعرفهم يمرون بى ، فـكنت أصيح فيهم قائلا : إننى مليـكـكم براق ! اعطونى فرسا . ولـكن لم يكن أى مخلوق يلتفت إلىّ فى ذلك الوقت ، وكان الـكل يمضى لشأنه ، وأخيراً عرفنى أحد الغلمان وكان يدعى « سالى » ، فترجل عن حصانه وأركبنى وطلب منى سهمافأعطيته بعض السهام ، وأنقذت نفسى من بين الأعداء بمجهود شاق وتعب شديد .

وفى اليوم التـالى وصلت بجنود من الرجالة والجرحى فتجمعوا كلهم عندى ، ثم أرسلت واحدا منهم إلى « نوكاخاتون » ليبشرها بنجاتى وسلامتى وليقول لها ولمن معها : إننا سوف نصل إليـكم ، فإياكم والهزيمـة ، واثبتوا فى أماكنـكم إلى أن نلحق بكم، وكل من يصل من الأسرة عليه أن ينتظر حتى نبلغه . فابتهجت « نوكاخاتون» ومن معها من الجماعة الذين كانوا فى المعسكر وتوقفت هنالك ، ثم أرسلت كل ما كان لديها من خيل وأسلحة ومأكل ومشرب وملبس على يد « ايواغلانان » ، ولـكن لم يحضر أحد لاستقبالى غير « جلاير تاى » الذى كان قد ذهب من قبل مع أمراء هزار ، ولم يتوقف أحد من أفراد الأسرة الذين كانوا قد وصلوا إلى هناك وعبروا النهر . ولما بلغت نوكاخاتون وسمعت منها أحوال الأسرة والجيش قلت غاضبا : عندما أقف على عذر كل واحد منهم سأعرف كيف تـكون مؤاخذتهم ، و بعد أن عبرت النهر وعدت إلى موطنى ، كان أفراد الأسرة يتوافدون علىّ زرافات ووحدانا. وقبل أن يجتمعوا هم والأمراء اعترانى الفالج ، وفى تلك الحال شق أحمد اغول عصا الطاعة وتوجه نحو بيش باليق ، ولما لم تعدلى ثقة فى أحد بعثت فى إثره ناولدار مع ألف فارس . ثم ركبت المحفة ، وسرت الهوينا من ورائهم لـكى أعيده . وفى أثناء ذلك وصل خبر يفيد أن نيكباى أغول قد توجه مع أسرته وجنده إلى خجند ، فأرسلت أيضاً «تاليقو اغول» مع جنده فى إثره . ولما بلغت نواحى «چاچ» أرسلت أخى «ياسار» إلى «اندا» لاطلاعه على هذه الأحوال

ولـكى يمدنى بالجنـد حتى أقبض على تلك الطائفـة التى تمردت على وأعيد جنودهم » .

فلما وصل ياسار إلى « قايدو » و بلغه الرسالة أجاب : « عندما عاد قبجاق متأثرا متضايقا تبين أن أخاك « براق » قد أرسلك مع مومن و إياجى لـكى تعيدوه راضيا ، ولـكن أخاك أرسل جنوداً من ورائـكم حتى إذا لم يعد طوعا اعتقلوه وأعادوه بالقوة ، فهل هذا صحيح أم لا ؟ فقال ياسار : « لم يـكن هناك جنود قط . ولما كان « قايدو » قد علم علم اليقين من رسل براق وأسرة قبجاق أن براق قد أرسل « جلاير تاى » مع جيش من ورائهم ، قال لياسار : إن الأسرة والجند قد أعرضوا عنـكم بسبب نفاقـكم ، واليوم إذ أرسلك إلىّ يطلب منى المدد سألتك عن كلام أجبت عنه كذبا . فكيف يثق أحد بكم ».

فخجل ياسار خجلا شديدا واعتراه الهم . بعد ذلك قال له قايدو : « إن براقاً نده كان قد اغتر برجولته وادعى قائلا : لقد تلاقيت مع الأمير «تبشين» وهزمته ؛ ولهذا السبب عاد قبجاق متأثرا متضايقا ، فليقبضوا عليه وليحضروه ؛ و إنى سأستولى على خراســان حتى يشـاع أن براق قد فتحهـا مع جنوده برجولة وشجاعة .

وحيث إنّ قلوبكم كانت مليئة بالسوء والنفاق ، فقد منح الله الأزلى « آباقا » العزة والنصر حتى هزمكم وأخرجكم من خراسان فى مهانة ومذلة ، وما إن وصلتم إلى هــذه البلاد ، حتى أثرتم الفتن والثـورات بين أفراد

أسرتكم ، بحيث أدى الأمر فى النهاية إلى أن رقد براق فى المحفة مريضا منهكا ، ومع هذا قال : إنى ذاهب مع الجند ، وهو لا يدرى أنه فى الوقت الذى كانت يداه ورجلاه سالمة ، وجنوده إلى جانبه مرتبين منظمين لم يستطع أن يأتى عملا ما ، فماذا عساه أن يفعل الآن مع المرض وفقدان الجيش . إن براق راقد الآن فى المحفة مريضا متعبا ، ومع هذا يريد أن يفتح البلاد ، وأنت تنسج الكذب وتريد أن تجعله صدقاً » .

ثم أمر بحراسة « ياسار » واستدعى أمراءه ووزراءه ، وتشاور معهم قائلا : «إن براق قد اغتصب بلادنا عدة سنوات . وعندما جاء لمحاربتنا لحقته الهزيمة ثم صالحنا قبجاق بالخداع والتمويه ، وعقدنا العهد والميثاق على ألا نختلف بعد هذا مرة أخرى ، وشربنا نخب الصلح واستقر الرأى على أن يحكم براق ولايته ونحكم نحن ولايتنا ، وعلى أن نرسل الرسل لكى يحصلوا أموال ولايتنا .

« ولكنا أرسلنا بعد إبرام العهد والميثاق الرسل عدة مرات لطلب المال ، فلم يعطوهم شيئاً وضربوهم ، ولما كان القسم بيننا فقد صبرت على مضض إلى أن حل الوقت الذى قصد فيه خراسان ، وطلب منى المدد ، فأرسلت إليه — عن صدق إخلاص — قبجاق وچبات على رأس جيش ، فلم يحترمهما ولم يكرمهما ، أما قبجاق فقد امتعض من كلام جلايرتاى الأفاق وعاد هاربا فأرسل فى أثره جيشا لأسره فلم يتيسر له ذلك ، كذلك عاد چبات

متضايقا متأثرا ، وقدم إلينا خوفا من ابنه .

« والآن يقود براق الجيش مرة أخرى وهو فى المحفة ، وقد أخذ يثير الفتن والاضطرابات بين أفراد الأسرة ، ويرسل أخاه « ياسار » إلينا للخداع والتمويه طالبا المدد ، فإذا أعناه بالجند فسوف تدمر ولاياتنا تحت سنابك الخيل ، وإذا لم نرسل إليه المدد فسوف يلقى الهزيمة منا ، ثم يلقى بنفسه مع جيشه الضئيل إلى « بيش باليق » ، فيتحد مع القاآن ويثير الفتن مرة أخرى ثم يهاجمنا ، فأرى أنه من المصلحة أن نحتفظ بأخيه « ياسار » هنا ، وأسير أنا بنفسى مع عشرين ألف جندى ، وأرسل إليه رسالة أقول فيها : إنى قادم لإمداد « براق أندا » . فإذا كانوا قد باشروا القتال لحين وصولنا ، وحلت الهزيمة بأحد الفريقين وكان المنهزم « براقا » فسوف ننضم إلى أعدائه ليقضوا عليه نهائيا ، ثم نخضعهم نحن لمشيئتنا ، ولا ندعهم يخرجون من هذه البلاد ، أما إذا تغلب عليهم براق فمن الضرورى أن تتقدم جنودهم عليه . فعندما نبلغ هذا المكان نعيد « براقا » ، وندبر طريقة نستطيع بها القضاء عليه على أحسن وجه ، ونجلس غيره مكانه ، ونجعل جنوده طوع أمرنا حتى تخمد هذه الفتن والاضطرابات » . فقال الوزراء والأمراء : « إن هذا هو الرأى الصواب » .

ثم ركب « قايدو » ومعه عشرون ألف جندى ، وأرسل رسالة يقول فيها : « لقد بعثنا بعدة آلاف من الجنود للإمداد » وقد أخفى غرضه إلى أن اتصل ببراق .

أما « ناولدار » فـكان قد لحق « بأحمد أغول » . ومع هذا فقد أرسل إليـه رسولا يقول على لسانه : « أنت أمير وأنا فرد من الرعية ، وقـد أرسلنى براق لـكى أسترضيك وأعيدك بالحسنى ، فإن لم تعد فسأحاربك ، والصواب أن تعود » . وكان أحمد ثملا للغـاية . فـكلما نصحه أعوانه ومستشاروه قائلين : لقـد وصل جنود كثيرون . فينبغى أن تعود حتى يسحب هو أيضـاً الجند ، وعندئذ تـكون قد أفقت من السكر فنتشاور — لا يلتفت لـكلامهم ولا يستمع لنصحهم ، بل كان يهاجم « ناولدار » الذى كان يدير له ظهره ويقول : « إنه من عشيرة چنـگيزخان ، فـكيف يتسنى لى أن أحاربه » ، وكلما كان ناولدار يتظاهر بالفرار ، كان أحمد يعود إلى مكانه ، فيتعقبه ناولدار بجيشه مرة أخرى ، ثم نظر أحمد فرأى أن ناولدار قد اقترب منه مرة أخرى ، فصور له خيال السكر أن خـدمه سيعتقلونه ويسلمونه إلى ناولدار ، فأخذ عدة جياد أصيلة منتخبة ، وانفصل مع خاصته عن الجيش ، وطفق يفرّ على غير هدى .

فعلم ناولدار بذلك ، وأخـذ يطارده ويرميه بالسهام ، وفجأة أصـاب واحد منهـا ظهر أحمد ونفذ من صدره فهلك على الفور ، فلمـا رأى الجنود ذلك انقادوا كلهم لنـاولدار وأطاعوه ، ثم أرسل ناولدار رسولا إلى براق ليخبره بما حدث .

ومن جهة أخرى كان « تاليقو اغول » يتعقب نيكباى ، فأرسل إليـه

رسالة يقول فيها : « قف مكانك حتى نصل ونسير معا » . فصدق نيكباى اغول كلامه وتوقف فى مكانه ، إلى أن هاجمه تاليقو فى الصباح ، وتعرض جنده من الخارج لوابل من السهام ، فأصاب نيكباى سهم وهلك . ثم نهبت معسكراته وعاد جنوده .

فى ذلك الوقت وصل الخبر بقتل أحمد اغول على يد ناولدار ، ولما كان تاليقو من أقارب أحمد فقد هرب إلى « بيش باليق » ، وكان « قايدو » قد اقترب عند وصول هذه الأخبار إلى براق وانضمام جنود نيكباى وأحمد إليه ، فأرسل « قايدو » يقول : « لقد قدمت مع جنود عديدين ، فإلى أين ينبغى المسير ؟ فأجاب براق : لماذا أتعب « قايدو » نفسه بكل هذا السير وقطع كل هذه المسافة ؟ . لقد انتهى أمر أحمد ونيكباى ، وسأعود الآن لأنى مريض . فليعد أيضا « قايدو اندا » حتى نتقابل بعد الشفاء » .

فلما سمع قايدو هذا الكلام قال لأمرائه : إن « براق » فى حالة احتضار ، ولم يقلع بعد عن الخداع والحيلة ، إنه يريد أن يتحايل ويبتعد عنا قبل أن يرانا » . وفى تلك الليلة قاد جميع الجنود وأحدق بمعسكر براق ، ثم ترجل على أن يتقابلوا فى الصباح ويفكروا فيما ينبغى عمله . فلما وصل ذلك الخبر إلى براق ، مات ليلته خوفا ورعبا ، وفى الصباح أرسل « قايدو » رسلا يطلبون اللقاء ، فسمعوا من معسكر براق الصراخ والعويل ، وشاهدوا

السيدات ناثرات شعورهن ، فعرفوا أن « براق » قد مات فعـادوا وأخبروا قايدو .

وقبل بلوغهم معسكر براق سمع « مبـاركشـاه » و « جو باى » و « قبان » بوفاة براق ومجىء « قايدو » لحضروا وتعارفوا وأخذوا يتناولون الطعام ثم وصل الجميع وتأكدوا من خبر الوفاة ، فصاح « قايدو » وأجهش بالبكاء ، وبكى معه كل أفراد الأسرة . وقد أرسل « قايدو » عدة أشخاص من خاصته إلى نوكاخاتون لتعزيتها قائلا : « إننا هنا أيضاً فى مأتم » ثم أمر قايدو بدفن « براق » فى جبل مرتفع .

وفى اليوم التـالى حضر « مباركشاه » و « جو باى » « وقبان » مع جميع أمراء الـكتائب والفرق وركعوا لقايدو قائلين : « إن قايدو هو سيدنا منذ اليوم ، وسنكون له مطيعين منقـادين فى كل مايأمرنا به . لقد بغى علينا براق وظلم أسرته ظلما فادحا فى أيام حياته ، واغتصب أموالنا الموروثة والمـكتسبة . فإذا أمدنا قايدو وساعدنا لـكى نعيش ، فإننـا سنرتحل بإرادته . وإن لم يفعل فالأمر إليه ، لـكننا جميعا سوف يصيبنـا التشتت والاضطراب » .

فقال قايدو : « سترد إليـكم كل ماتعرفون من أموالـكم التى كانت قد اغتصبت منكم . ولأنكم تودوننى وتحبوننى فسوف أشملـكم أنا أيضاً بعطفى ، وأسلمكم أموالكم وبلادكم » .

ثم أخذ « مبارکشاه » عند رحيله كل مارآه فى خزانة براق من النقود والمتاع ، وخلع قرطا من الدر الثمين كان فى أذن نوكا خاتون واستولى عليه ، ثم وزعت فيما بينهم كل دواب براق وأمواله حتى لم يبق منها أثر قط .

حكاية

عودة آباقاخان من حرب براق مظفرا منصورا

ووصول الرسل من لدن حضرة القاآن بالخلع والمراسيم الخانية وجلوسه على العرش مرة ثانية

بعد أن قضى آباقاخان على براق ، وطهر إقليم خراسان من فساد البراقيين وفتنهم ، عاد إلى العراق وآذر بيجان التى كانت الحاضرة القديمة ، بحيث إنه أثناء السير فى الطريق ، لم يلحق أى مخلوق من هؤلاء الجنود العديدين والحشم الكثيرين أذى أو مشقة بقيد شعرة .

وفى غرة ربيع الأول سنة ٦٦٩/١٢٧٠ بلغ آباقاخان مدينةمراغة . وفى يوم الخميس العشرين من ذلك الشهر انضم إلى معسكرات الخواتين فى جغاتو . وفى ذلك التاريخ أيضا ، وصل الرسل من قبل حضرة القاآن حاملين إلى آباقاخان الفرمان والتاج والخلع ، ليكون فى مكان والده

الصالح خانا على بلاد إيران ، وليسير على طريقة آبائه ويتبع رسوم أجداده .

وبناء على أمر القاآن جلس آباقاخان مرة أخرى على سرير الملك فى يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ٦٦٩/١٢٧٠ الموافق ...[1] من سنة مورين وذلك فى موضع جغاتو ، وكما هو معهود عند المغول ، أدوا مراسم التهانى والأفراح .

وفى تلك الأيام أيضا وصل الرسل من قبل منكوتيمور بأنواع التحف والهدايا ليهنئوا آباقاخان بانتصاره على براق ، وكانت الهدايا من طيور الباز والسنقر والشاهين ، فأمر آباقاخان بإعزازهم وإكرامهم ، ثم أذن لهم بالانصراف . وقد أرسل بصحبتهم الإنعامات الشاهانية .

وفى يوم ٢٣ من صفر سنة ٦٦٩/١٢٧٠ كان آباقاخان يصطاد فى نواحى جغاتو ، واتفق أن أصيبت يده المباركة من قرن ثور وحشى ، فانفتح منها شريان ، ولم ينقطع نزول الدم . فأخذ « قورجان آقا » والد توقتيمور إيداجى قوسا وصار يمس بحده الجرح حتى تورم وامتنع نزول الدم ، فأكرمه آباقاخان ، كما أنعم على « تكجاك » ورفع منزلته وكان قد دجج نفسه بالسلاح خلال تلك الفترة ، وأدى خدمات محمودة ، ولما كان موضع الجرح قد تورم وصار مثل الكيس ، فإن آباقاخان قد مسه منه ألم عظيم ، ولكن

(١) بياض فى الأصل .

لم يجرؤ الأطباء الكبار الذين كانوا حاضرين على فتحه ، فبدا على آباقاخان الإعياء الشديد وخارت قواه ، فتعهد خواجة العالم (خواجهَ جهان) نصير الدين الطوسى طاب ثراه أمام سائر الأمراء بألا يصيبه مكروه قط من شق الكيس ، وأمر أبا العز الجراح فشقه وطهره ، فسكن الألم فى الحال ، ونجا من ذلك الألم خلال أسبوع ، فابتهج الناس بذلك .

وفى يوم السبت الثامن من ذى الحجة سنة ٦٦٩/١٢٧١ توفى الأمير « يشموت » ، وتوفى من بعده « تكشين أغول » فى الرابع من صفر سنة ٦٧٠/١٢٧١ ، وفى سلخ ربيع الآخر من تلك السنة نزل أهل گردكوه وسلموا القلعة ، وقد توفيت « يسونجين خاتون » والدة آباقاخان فى جمادى الثانية من السنة المذكورة ، فأعطى رحلها لپادشاه خاتون .

بعد ذلك عاش أهالى إيران لمدة مديدة وأيام طويلة فى أمن وسلام لعدل آباقاخان وإنصافه ، فكانوا يواظبون على الدعاء بدوام دولته .

حـــكاية

قدوم المدعو آق بك إلى حضرة آباقاخان
وزحف الجيش لتـدمير بخارى وعاقبـة
ذلك ، وحـدوث زلزال بمـدينة تبريز

فى سنة ١٢٧٢/٦٧١ قدم «آق بك» إلى حضرة آباقاخان بمقام «كنتو» [1] ، وكان قد ظل مدة مستحفظا لقلعة آمويه ، كما كان يحافظ على النهر من قبل براق ؛ فلقى الناس من شره شتى المتاعب .

أبلغ هـذا الرجل آباقاخان أن الجنود الأجانب على الضفة الأخرى من النهر يستمدون قوتهم من بخارى ، و يعتزمون مهاجمة هذه الديار، فالمصلحة تقضى بتدمير بخارى .

عندئذ عيّن آباقاخان «يسودر أغول» الذى كان واليا على خراسان بعد تبشين أغول ، ليـكون عاملا من قبله على بخارى وقال له : «إذا رضى أهل تلك المدينة بالهجرة عن وطنهم والمجىء إلى خراسان فلا تتعرض لهم بسوء ، و إلا فالغارة على بخارى» . ثم أوفد فى صحبته «نيكبى بهادر»

---

(١) هكذا فى المتن ص ١٤٠ من طبعة باكو (١٩٥٧) التى نشرها الأستاذ عبدالكريم على أوغلى على زاده .

و « چاردو » و « إلادو » مع عشرة آلاف جندى ، فلما بلغوا تلك النواحى، هاجموا كش ونخشب عدة مرات ثم قصدوا بخارى ، وعسكروا حولها .

وكان الأمير مسعود بك فى معسكر قايدو ، فكان « صدر جهان » يباشر السلطة أثناء غيابه ، وكان لآقبك خادم من أبناء بخارى يدعى «زيرك بن لاجين»، وكان فضوليا ساقطا إلى أقصى حد ، فأرسله « صدرجهان » مع خادم مغولى برسالة إلى المدينة قائلا : « إن أوامر آباقاخان تقضى بأن يترك السكان المدينة وأن يغادروها مع نسائهم وأولادهم وأموالهم ودوابهم إلى خراسان » . فلم يهتم الرنود والأوباش بكلام « صدر جهان » وقتلوا « زيرك » ، وعاد الخادم المغولى .

أبلغ « آقبك » بقتل « زيرك بن لاجين » ، فتحرك المغول فى الحال وتوجهوا إلى المدينة ، فأغلق أهل بخارى الأبواب ، وقاتلوا يوما كاملا ، ثم استدعى صدر جهان أعيان المدينة ليلا ، ورأى من الصواب أن يصطلحوا ، وكان آقبك ابن زوجة هندو ، حفيد تاج الدين زيرك مكلفا بحراسة أحد الأبواب ففتحه فى الصباح ، واندفع الجنود إلى بخارى فى شهر إرام من سنة داقيقو الموافق أول رجب سنة ٦٧١/١٢٧٢ ومدوا أيديهم بالقتل والنهب والسبي ، وأجروا نهرا من الدماء فى المدينة ، وأضرموا النيران فى مدرسة مسعود بك التى كانت أعظم المدارس وأكثرها عمرانا وازدهارا هناك ، فأحرقوها بما فيها من نفائس الكتب ، واستمروا فى القتل والنهب أسبوعا.

وفى الليلة الأخيرة أرادوا أن يشعلوا النار فى المدينة بأكملها .

وفجأة وصل بعض فرسان المغول وذكروا أن « جاپاى » و « قبان » ولدى « الغو بن بايدار بن جغتاى » قادمان مع عشرة آلاف فارس ، فرحل آقبك ونيكپى (بهادر) من ذلك المكان ، وعبرا نهر « حرامكان » حاملين الأموال الكثيرة والدواب والعبيد والأسرى ، وفى الصباح المبكر وصل « قبان » و « بوقو » و « نقو » من ذلك الجانب إلى شاطئ النهر ، وصاحوا : « لماذا أقدمتم على مثل هذا العمل ؟ » فأجاب الأمراء : « إننا فعلنا ذلك بأمر من سيدكم آباقاخان . وهذا هو مرسومه » .

ولم ير قبان من المصلحة أن يعبر النهر ويهاجمهم ؛ لأنه لم يكن معه أكثر من خمسة آلاف فارس ، وطلب هدايا من آقبك ونيكپاى (بهادر) فأرسلا إليه نصيبا من تلك الأموال والغنائم ، وعاد هو أيضاً ، ثم قتل جميع من أخطأتهم السيوف ، فكان من قتل نحو خمسين ألف شخص ، وقد ظل « آقبك » و « قبان » و « جاپاى » من الجانبين يقتلون وينهبون مدة ثلاثة أعوام إلى أن دمرت تلك المدينة العظيمة وضواحيها تدميرا كاملا ، ولم يبق حى قط فى تلك الجهات لمدة سبع سنوات .

ولما وجد آقبك أنه قد صار ثريا قويا بما حصل عليه من تلك الغنائم ، أراد أن يهرب ويذهب إلى قايدو ، فأسرع أحد إخوته إلى حضرة الأمير أرغون ، وأبلغه بنية أخيه ، فأرسل إليه رسلا قيدوه وأحضروه وأرسلوه إلى

حضرة آباقاخان ، ثم استجوبوه فلم يعترف بشىء ، فعذبوه فأقر بذنبه ، وقتلوه فى موضع كوكجه تنكيز .

وفى شتاء سنة ١٢٧٢/٦٧١ حدث زلزال شديد فى مدينة تبريز فسقطت رؤوس المآذن وتهدم كثير من المنازل . وفى شهر ذى الحجة من تلك السنة قتل الملك صدر الدين . وفى التاسع عشر من شهر ذى الحجة المذكور توفى « جنكلاون بخشى » الذى كانت له منزلة عظيمة لدى سلاطين المغول ، وكان هولاكوخان وآباقاخان يحترمانه احتراما شديدا . وفى شهر ذى الحجة سنة ١٢٧٥/٦٧٣ توفى الأمير أرغون آقا فى مرج « رادكان طوس » ودفن هناك .

حكاية

مجيء البندقدار إلى بلاد الروم ، وتوجه آباقاخان إلى تلك الناحية ، وغضبه على أهل الروم ، واستشهاد بعض أمراء الروم ومن بينهم پروانه ، وذهاب صاحب الديوان شمس الدين إلى تلك الجهة

فى سنة ١٢٧٥/٦٧٤ سار ضياء الدين وابن خطير وابن پروانه مع مائة رجل من ولاية الروم نحو ركن الدين البندقدار بناحية الشام ، وحرضوه على السير إلى بلاد الروم ، فتوجه إلى تلك البلاد مع جنود مجهزين فى

سنة ١٢٧٦/٦٧٥ ، وخرجوا عن طريق آبلستان مما يلى جبال آبلستان .

وكان قد عسكر فى تلك الحدود من أمراء المغول توقو بن ايلكاى نويان وأخوه اورقتو وتوداون بن سودون من قوم سلدوس وأخو سونجاق نويان ، ومع كل منهم عشرة آلاف جندى ، فتلاقى الجيشان واقتتلا فى يوم الجمعة العاشر من ذى القعدة من السنة المذكورة الموافق الثانى عشر من شهر « اونونج » من سنة « هوكار » ، وكان البرد قارساً ، فترجل توقو وتوداون ونزلا مع الجند ، وحاربوا حربا طاحنة ، ولكن جيوش المغول انهزمت بعد الظهيرة ، ولم ينج إلا قليل منهم .

ثم قدم البندقدار إلى قيصريه ، وأقام هناك أسبوعا ، وضرب السكة ، وجعل الخطبة باسمه . وقد ضاق أمر العلف على الجنود ، وكان معين الدين پروانه قائما على قلعة « توقات » ، فأرسل إليه البندقدار رسولا لاستدعائه ؛ فلم يلب نداءه . فقتل البندقدار بعض النصارى والأرمن ثم رجع . وقد وضعت العوائق فى طريق الفرسان المصريين فترجّل كثير منهم .

بعد ذلك قدم المدعو « بوكداى » من خدم توداون ، وشرح لآباقاخان ما حدث ، فغضب آباقاخان غضبا شديدا ، وسار فى نفس اليوم من دار الملك تبريز متجها نحو بلاد الروم فى شهر صفر سنة ١٢٧٧/٦٧٦ وكان الفصل ربيعا . فلما بلغ آبلستان وآقجه حظى بالمثول لديه السلطان غياث الدين مع الصاحب فخر الدين الإصفهانى . وعندما رأى القتلى مكدسة أجسادهم

فى آبلستان بكى عليهم ، وحزن على توقو وتوداون حزنا شديدا . و بدافع الغضب قتل طائفة من التركمان الذين كانوا قد أثاروا الفتن ، كما قتل طائفة من أعيان الروم ، وأمر جنوده بأن يباشروا القتل والنهب فى بعض بلاد الروم . وقد اشترى الصاحب شمس الدين الجوينى بعض الأراضى فى المدن . وكان من جملة ما نهبوا نصف مدينة سيواس . وتشفع الصاحب شمس الدين حتى لا يأخذ الملك العادل العامة بجرائم الخاصة ؛ فوقعت شفاعته موقع القبول ، وتجاوز آباقاخان عن ذنبهم . وقد استشهد نور الدين جرنكى وظهير الدين ابن هود .

ثم عزم آباقاخان على السير نحو الشام ، وكان ذلك فى أشد أيام الصيف ، فقال الأمراء : « إن أواخر الخريف والشتاء أنسب لتلك الحملة » . فتريث لذلك السبب ، وأرسل رسولا إلى البندقدار على سبيل التهديد والتخويف فقال : « إنكم تنقضون فجأة كاللصوص وتطاردون فرساننا وطلائعنا وتقتلون بعضهم ، فإذا ما بلغتنا الأخبار وتحركنا لصدكم تفرون كاللصوص. فإذا كنتم تريدون لقاءنا وقتالنا ، فادخلوا الميدان كالرجال وثبتوا الأقدام :

تعال لكى ترى سنانى ،
وتنظر إلى التواء عنانى .
فإن كنت جبلا فستنهار من أساسك ،
و إن كنت حجرا فلن تستقر فى مكانك .

فأين شاهـــــدت المقاتلين ،
يامن لم يسمـــــع عواء الثعالب .

و إن لم تأت فإن جيوشنا مستعدة لقتالك فى طليعة الشتاء ، و إذا امتدت نار غضبنا إلى بلاد الشام ، فإنها بلا ريب سوف تأتى على كل مالـكم من أخضر و يابس ؛ لأن الله الأزلى قد وهب جنـكيزخان وذريته بلاد العالم ، وأدخل السراة المتمردين فى ر بقة طاعتنا . وكل من يخالف أهل الإقبال ، تـكون مخالفته دليلا على الإدبار » .

وعندما وصل البندقدار إلى دمشق ، وكان قد رأى من قبل الرسول عليه الصـلاة والسلام وقد قلده سيفا ؛ جلس فى ذلك الأسبوع على عرش السلطنة . وحينئذ رأى الرسول مرة ثانية فى المنـام يقول له : « رد إلينـا وديعتنا » . واسترد منه السيف ، ومنحه الملك المنصور السلطان سيف الدين قلاوون المعروف بالألفى . فلما استيقظ البندقدار أيقن أن أيامه قد انتهت ، وأن الملك سوف ينتقل إلى الألفى ، فاستدعاه وقال له : أحسن إلى أبنـائى عندما تصير ملـكا . ثم توفى فى مدينـة دمشق فى شهر ذى الحجة سنـة ٦٧٦/١٢٧٨ ، ودفن فى المدرسة التى كان أقامها هناك .

وقد عهد آباقاخان ببلاد الروم إلى الأمير « قونـكقور تاى » ومعه جيش كامل حتى يحافظ عليها من الأعداء ،وأمره بأن يهدم قلعة «توقان» وحصن «كوغانية» الذى كان دار « معين الدين پروانه » . ثم عاد إلى ألاتاغ فى سنة

هوكار الموافق سنة ٦٧٦/١٢٧٨ . وقد قدم « پروانه » إلى المعسكر خائفا هلعا ، فقال الأمراء : « إنه متهم بارتكاب ثلاث جرائم : الأولى : أنه هرب من الأعداء ، الثانية : أنه لم يخبر قواد المغول على الفور بمجيء البندقدار ، الثالثة : أنه لم يحضر سريعا إلى الحضرة .

وصفوة القول أن الأمر قد صدر بأن يبقى « پروانه » تحت الحراسة ، ولما عاد الرسل من لدن البندقدار ذكروا أن البندقدار يقول : « لقد أقبلت بناء على استدعاء پروانه ، لأنه كان قد وعدني بأن يسلمني بلاد الروم حينما أحضر ، لكنه لاذ بالفرار بعد أن حضرت هنالك » .

فلما أبلغوا آباقاخان ذلك الكلام أمر بقتله ، فاستشهد في غرة ربيع الأول سنة ٦٧٦/١٢٧٧ في مصيف « الاتاغ » على يد « كوجك توغجي » .

وفي ١٧ ربيع الثاني من السنة المذكورة أوفد آباقاخان الخواجه شمس الدين لاستمالة الرعية وصد الأعداء ، وإدارة بلاد الروم ، فسار الصاحب إليها ، وأعاد العمران إلى البلاد الخربة ، ووضع رسوم «التمغه» التي لم تكن معهودة في بلاد الروم . وكان المدعو « قهرمان » قد اختفى في غابة على مقربة من « أوج » بنواحي الروم ، فكانت الطرق لوجوده غير مأمونة ، فتحرك نحوه صاحب الديوان بصحبة « كهوركاي نويان » و « ارقسون نويان » وأحرقوه مع الغابة .

وفى صفر سنة ٦٧٦ / ١٢٧٧ شمل آبا قاخان برعايته « عز الدين أيبك » الشامى الذى كان قد هرب مع عشرة رجال ، ولجأ إلى هذه البلاد ، وفوض إليه حكم ملاطية . وقد خصصوا خمسة آلاف دينـار كل عام لعلف خيوله وخيول جنده ، فلما بلغ ملاطيـة اغتصب من الناس ثلاثمائة ألف درهم بالقوة ولاذ بالفرار مرة ثانية وقصد الشام .

ولمـا عاد صاحب الديوان شمس الدين من الروم إلى ناحية دربند ، سار عن طريق جبـال البرز ولـكرستان ، فاستطاع بحسن تدبيره أن يدخـل فى طاعة المغول تلك الأقوام التى لم تـكن قد خضعت لأحـد فى أى عهد من العهود .

وفى يوم الاثنين ١٧ من ذى الحجة سنة ٦٧٢/١٢٧٤ توفى ساعة الغروب الخواجة نصير الدين الطوسى ـ طاب ثراه ـ فى مدينة السلام بدار سوسيان .

فات المعالى والعلوم بموته فعلى المعالى والعلوم سلام .

حكاية

قدوم الملك شمس الدين كرت إلى هذه البلاد

وسجنه ووفاته

كان الملك شمس الدين كرت من ملوك الغور ، وكان رجلا فى غاية الكفاءة كما كان ذا دهاء وشجاعة . وعندما قدم هولاكو خان إلى بلاد ما وراء النهر

مثل بين يديه ، فنال منه العطف والرعاية ، ونصب ملكا على هراة وسبزوار وغور وغرجه ، ولما جاء براق تواطأ معه ، إذ أنه فتح باب هراة للأعداء ، وقد استدعاه « تبشين اغول » عدة مرات ، فلم يلب نداءه ، كما أنه لم يأت إلى الحضرة ، فكان آباقاخان غاضبا عليه لهذا السبب .

وفى شهور سنة ٦٧٤ / ١٢٧٥ أراد أن يرسل جيشا للقبض عليه ، فقال له الأمراء وصاحب الديوان : إن خراسان قد أصبحت خربة ، ولم تعد تطيق تردد الجيوش عليها ، فالصواب أن يحضروه بالحسنى والمداراة ، عندئذ صدر الأمر بذهاب صاحب الديوان ، فقال هذا ملتمسا لو صدر الفرمان ، فإن ابن عبدكم بهاء الدين محمد الموجود الآن فى العراق هو الذى يقوم بهذه المهمة ، فصدر الفرمان بهذا الشأن ، ثم كتب بهاء الدين بمشورة القاضى فخر الدين ، ونظام الدين الأوبهى إلى الملك شمس الدين يقول : « إنى أردت أن أحضر بنفسى ، ولكن لم تساعدنى هذه السعادة بسبب كثرة الموانع ، والحال أنه ليس هناك شىء قط سوى الرعاية والعطف ، فينبغى عقد العزم على الحضور » .

كذلك بعث إليه الصاحب السعيد شمس الدين صاحب الديوان ـ طاب ثراه ـ بقطعة شعرية نظمها فى تلك المناسبة وهى :

الملك شمس الدين محمد كرت ضياء الملك ،
أنت الذى كالملك كلك روح .

إن المشقة التى لحقت بروحى بسبب هجرك ،
لا يـــدرك كنههـــا وهم الإنس والجن .
صار غبار موكبـــــك كحلا لإنسان عينى .
التى لم يدخـــــل فيهـــا الكونان .
فما أكثر المتاعب التى ستلحق بالقلب الضعيف الحزين
إذا لم تتلطف بتحمل مشقة القدوم إلى هنـــا .
وإن مزاجى المعتـدل سيتحول عن الصحة ،
إذا غــــيرت العزم والعيـــــاذ بالله .
والحق أنه يليق برأيك المنـــير الحصيف ،
حيـــنما تقرأ رسالة الشوق هــــذه ،
أن تثـــير نار إرادتك بريح عزمـــك ،
وأن تخمد بمـــاء لطفك غبـــار الأوهام .

وكتب السيدان المذكوران أيضا رسائل يقولان فيها : « إذا توجه الخواجه بهاء الدين إلى هراة بصحبة المـلوك والصدور وأكابر العراق ، فلا يمكن لذلك الملك أن يقوم بما ينبغى نحو الضيافة ، وتزول الهيبة القديمة ، ويطمع فى ملك هراة أيضا ، فالأولى العزيمة دون تردد » .

وأخيرا أرسل الملك شمس الدين حاجبه المدعو « بهاء الدين » والمدعو « جمال الدين » بصحبة الرسل ، وحملهم رسالة يقول فيها : « لا يتعَبنَّ الخواجة

نفسه ، ولا يشقن عليها ، فإنى سأصل قريبا إلى الحضرة » . فشمل بهاء الدين الرسل بعطفه ، وأرسل خلعا إلى الملك . ثم ذهب جمال الدين وحث الملك على الحضور ، فسار هذا إلى أصفهان ، وأكرمه بهاء الدين إكراما زائدا ، وأعد له ما يليق بالملك من الدواب والملابس وغيرها وكلها من عنده .

وبعد مدة جاء به إلى الحضرة ، ونال شرف الحضور فى تبريز . ولكن لما كان آباقاخان غاضبا منه غضبا شديدا ، فإنه لم يلتفت إليه ، وأراد الصاحب بلطائف الحيل أن يجعل الملك يشمله بعطفه ، ولكن لم يتيسر له ذلك ، ثم سجن فى قلعة تبريز ، وكان يشكو من الصاحب وابنه ، ولما أيقن أن المغول سوف يقصدونه بسوء ، وأنهم نهبوا مرابط خيله ، تجرع السم فى تماج — كما يقول ملازموه — وكان قد عبأه تحت فص خاتمه . وتوفى فى ذلك السجن فى سنة ٦٧٦ / ١٢٧٧ . وعندما عرضوا الأمر على آباقاخان قال : « إنه رجل محتال مكار ، ومن الممكن أن يكون قد تظاهر بالموت فلعله ينجو ؛ ليذهب « هولقوتو » أمير مساس ، وليحكمن تابوته بالمسامير ، ويدفنه فى القبر ، فقام هولقوتو بتلك المهمة .

وفى ذلك التاريخ أيضا قام الوشاة من خصوم الملك افتخار الدين القزوينى وقالوا لآباقاخان : « إنه قد استحوذ على أموال كثيرة » ، فدفع خمسين تومانا ، ولكن لم يسمح له آباقاخان بمقابلته ، فظل بائسا فى المعسكر مايقرب من عامين ، وتوفى فى سنة ٦٧٨ / ١٢٧٩ .

حكاية

صيد آباقاخان فى موضع شاه رود
وابتداء تمرد سكان
تلك النواحى

فى عام طونكقوز الموافق سنة ٦٧٤ / ١٢٧٥ كان آباقاخان يمضى الشتاء فى أران ، وذات يوم ركب للصيد ، وبينما كان يصطاد ثورا جبليا فى غابة ، إذا بجماعة فى صورة الآدميين وفى سيرة السباع يهاجمون أتباع الحضرة بالسيوف والرماح فتصدى لهم الفرسان وقاتلوهم ، وأجبروهم على الفرار فى النهاية ، ثم أمر آباقاخان بإحضار القوات الاحتياطية للولايات والقضاء على هؤلاء المتمردين ، فلما تجمع الجند خاف حاكم هؤلاء القوم ، وقدم إلى الحضرة وقد علق السيف فى عنقه وارتدى الكفن ، فشملته الرعاية الملكية ، وأعطى قومه الأمان والسلام .

حكاية

مجىء جيش نكودريان إلى ناحية فارس وكرمان ونهبهما

فى شتاء عام ٦٧٧ / ١٢٧٨ الموافق سنة پارس ، هاجم ولاية فارس ما يقرب من ألفى فارس من فرسان « النكودريين » فخرج مع الجيش

« بلغــان » الشحنة ومحمــد بك الذى كان ينتسب إلى محمــود يلواج « وبوساق [1] » و « شمس الدين تازيكو » وأمراء فارس ، وقد أعد « النــكودريون » كمينا فى نواحى « كلبار » ، وظهر فى الطريق نهر عميق ، فقال نجم الدين شول : « ليس السير من المصلحة » ، فضربه محمد بك بالسوط وقال له : « لماذا تخيف الجند أيها الجبان ؟ » فتراجع نجم الدين غاضبا ، ثم عبر هؤلاء النهر ، ففتح « النــكودريون » الــكمين ، وقتــلوا هؤلاء الجنود برمتهم ، ونجا شمس الدين تازيكو وبلغان بآلاف الحيـــل (بمشقة بالغة) . وقد هلك « بوبناق [1] » ومحمد بك مع الجنود ، ومضى « النــكودريون » حتى أبواب مدينة شيراز ، وساقوا الخيول من موضع « باغ پيروزى » ، وهاجموا المناطق المحيطة بالمدينة ونهبوها .

وكان « عبد الله بن بوجى » حفيد جغتاى حاكما على النــكودريين حتى سنة ٦٩٨/١٢٩٨ ــ ٩٩ ، وبعد ذلك استدعاه « دوا بن براق » واعتقله ثم أرسل مــكانه ابنه « قتلغ خواجه » . وفى سنة ٧٠٠ / ١٣٠٠ ــ ١ بعث هو أيضــا بجيش إلى نواحى فارس ونهبها . وقد سنحت له تلك الفرصة لأن رايات « آباقاخان » الميمونة كانت قد توجهت إلى ناحية الشام فــكانت تلك الجهات خالية من الجنود .

---

[1] هكـذا فى المتن . ص ١٥١ ، وفى الهامش : نوساق ، بوساق (رقم ٣٣) .

حكاية
توجه رايات آباقاخان نحو خراسان، وخضوع أمراء القراونة، وذهاب الأمير أرغون خان إلى سجستان

فى غرة المحرم سنة ٦٧٧ / ١٢٧٨ الموافق سنة طاوشقان، تحرك آباقاخان من تبريز نحو خراسان، وفى الثالث من ربيع الأول سنة ٦٧٨ / ١٢٧٩ أوفد الأمير أرغون بجيش لإخضاع النكودريين، فسار حتى سجستان وحاصرها ثم رجع، وأحضر معه « اولجاى بوقا » الابن الأكبر لمباركشاه، وبقية عشيرته.

وفى الرابع عشر من ربيع الأول من تلك السنة قصد مدينة هراة، وفى نهاية ذلك الشهر خضع أمراء القراونة، وفى الثانى من ربيع الثانى ركعوا أمامه مقدمين له فروض الطاعة، فشملهم بعطفه. ثم عاد إلى الحاضرة تبريز، وصرح قائلا : « حيث إن أبانا الصالح قد سخر لنا مثل هذه البلاد الممتدة طولا وعرضا، فإنه لا محالة يجب علينا أن نعطى نصيبا منها لخواتينه وأبنائه، فمنح « قوتوى خاتون » ولاية ميافارقين، كما وهب أولجاى خاتون بعض مواضع من ديار بكر وولاية الجزيرة، ومنح خاتون جومقر سلماس، وعهد ببعض الولايات إلى « نولون خاتون » وولديها « جوشكاب »

« وكينشو » ، وبقية الأبناء ممن كانوا من المحظيات . وقد تولى آباقاخان تربية الأمير بوقا بن هوكولاى قورجى من قوم الجلاير ، وكان قد فقد أباه وهو طفل ورباه حتى صار مستشاره الأعظم ، وسلمه خزائن نارين ، وعهد إليه بأمر الخاتم ، وصار من أكابر الأمراء .

وفى عام «لو» الموافق شهر صفر سنة ٦٧٩/١٢٨٠ توفى «اباتاى نويان» .

حكاية

قيام مجد الملك اليزدى بتدبير الوشايات لدى حضرة آباقاخان و إدبار أحوال الصاحب الشهيد شمس الدين وأخيه علاء الدين طاب ثراهما

فى شهور سنة ٦٧٧/١٢٧٨ ـ ٧٩ قام الوشاة من الجوانب والأطراف بالعمل على إسقاط صاحب الديوان السعيد شمس الدين ـ رحمه الله تعالى ـ ومن جملتهم مجد الملك اليزدى ، الذى كان أبوه يدعى « صفى الملك » ، وكان يقوم بالخدمة عند أتابكة يزد .

وقد ظل مجد الملك مدة ملازما للخواجه بهاء الدين بن الخواجه شمس الدين صاحب الديوان ، ومن هناك اتصل بخدمة الخواجه شمس الدين

ـ طاب مثواه ـ فنشأه ورعاه ، وعهـد إليه بمهام الأمور مرتين أو ثلاث مرات . من ذلك أنه أرسله مرة لإحصاء سكان گرجستان ونواحيها . ولمـا لم يشاهد فيه مخايل الاعتماد عليه والثقة به ، كان يهمله ويتوانى عن الترحيب به وتشجيعه .

وقصة مجـد الملك هى أنه كان نجلا لوزير أتابكة يزد ، وكان أبوه صفى الملك قد ذهب مرتين إلى حضرة القاآن ، وعاد بالإنعـامات والمراسيم والپايزة .[1] وكان هو بشخصه ذا براعة فائقة فى التراسل والإنشاء ، كما كان فصيحا وكفؤا إلى أبعد حد . وعندما بعثوا بعماد الدين عمر القزوينى إلى بغداد ، كان صفى الملك موجودا فى المعسكر ، فصحبه إلى العراق وظل يعمل فى بغداد عدة سنين ، وحصل على أموال كثيرة ، وعندما أشيع هناك أن عماد الدين قتل ، أخذ ما كان له ، وخرج إلى واسط والبصرة ، واتجه إلى فارس عن طريق البحر ، ولـكن القرصان سطوا عليـه فى عرض البحر ، واستولوا على أمواله واعتقلوه وحملوه إلى الهند ، وسجنوه هنالك ، ثم نجا بعد مدة طويلة ، واسترد بعض تلك الأموال ، وكان يتاجر بهـا . لـكنهم لم يأذنوا له بالعودة إلى هذه الديار . وفى النهـاية ترك أكثر تلك الأموال هناك وفر هاربا وقدم يزد ، فابتهج لعودته سكان يزد أيما ابتهاج .

وكان الأتابك قطب الدين يوسفشاه يريد إسناد الوزارة إليه ، ولـكنه

(١) جامع التواريخ ، المجلد الثانى (ج ١) ، ص ٢٤٧ حاشية (١) .

كان يأبى ، ثم قبلهـا بعد إلحاح كثير مشترطا أن يعمل كل شخص فى تلك الديار فى العمل الذى وكل به ، ولا يتجاوز حدود عمله ، فقبل الأتابك هذا الشرط ، ووضع كل شخص من أصناف الخدم والحشم فى مقامه ، وعهد إلى كل واحد بعمل يناسبه ، بيد أنه فوض مهام الأمور إلى كفاية مجد الملك . وبناء على هذا القرار اختاروا يوما لإجلاسه ، فحضر جميع العظماء وأركان الدولة . وكانت العادة المتبعة أن يحضروا المحبرة من لدن الأتابك إلى مجلس الديوان ثم يغطونها بمنديل مزركش ويضعونها أمام الوزير حتى يؤشر بمدادها على المنشورات .

فى ذلك اليوم كان هناك أحد فراشى الأتابك ، وكان وقحا جريئا للغاية وكان يدخل مداخل الحجاب دائمـا ، فالتمس جريا على عادته السابقة وعلى ما اتصف به من جرأة ووقاحة،أن يحمل المحبرة وغطاءها ويضعها أمام الوزير. وكان الأتابك فى غفلة عن القرار الذى اتخذه ؛ فأجاب ملتمسه ، وعندما حانت ساعة الاختيار ، دخل الفراش ، ووضع المحبرة وغطاءها أمام مجد الملك، وسلمه منشورا ليوقع عليه ، فتطير مجد الملك ، وألقى المنشور ، وخرج غاضبا غضبا شديدا ، وسار على الفور إلى إصفهان وقال : « كيف يمكن إحكام مهام حاكم مع وجود فراش يقوم فى أول مسألة بعمل حاجب معتمد رغم وجود كل هذه الشروط والعهود ؟! » . وكثيرا ما ألحوا عليـه فى العودة فلم يصغ إليهم ومضى فى طريقه .

وفى إصفهان التحق مجد الملك بخدمة الخواجه بهاء الدين ، وانخرط بعض الوقت فى سلك المقربين إليه ، وكان ملازما له ، ولكن لما كان يراه ذا بطش شديد ألقى بنفسه فى خدمة الصاحب السعيد شمس الدين، وقد أرسله الصاحب لإحصاء أموال گرجستان ، فقام بهذه المهمة فى أمد وجيز ، بحيث أعجب به الجميع ، ثم أوفده مرة أخرى إلى الموصل وديار بكر ليحصل الأموال ويشرف على النظام فى تلك الولايات ، فأدى ذلك العمل على أحسن وجه ، وقفل راجعا .

فلما شاهد الصاحب آثار كمال كفاية مجد الملك وحسن تدبيره ، حسده وتخوف منه ، وعندما عرف مجد الملك ذلك استأذن وذهب إلى يزد ، وأقام مدة فى داره ، ومن هناك التحق مرة أخرى بخدمة الخواجه بهاء الدين ، وظل يلازمه ، وبهذه الطريقة أوفده الخواجه شمس الدين صاحب الديوان — طيب الله مثواه — فى مهمة إلى بلاد الروم فأقام فيها بعض الوقت ، وبعد عودته ظل يلازم الخواجة شمس الدين كالمعتاد .

وذات يوم اتفق أن كان يسير معه مجد الدين الأثير الذى كان نائبا للصاحب السعيد الخواجه علاء الدين — رحمه الله — فكان خلال كلامه يتحدث عن شوكة جنود مصر وعظمتهم وكثرة استعدادهم وعدتهم ؛ فتشبث مجد الملك بذلك الحديث ، واتخذ منه ذريعة للإيقاع بالخواجه شمس الدين ، وذهب إلى « ييسو بوقا كوركان » ، وذكر له أن نائب أخى صاحب الديوان

متضامن مع المصريين الأعداء ومتحد معهم وذلك بالاتفاق مع كلا الأخوين، وأنهم واقفون على جميع أحوال المصريين ، وهم دائما يترقبون مجىء جيش مصر إلى هذه البلاد لكى يسلموه إقليم بغداد ، فلما نقل بيسو بوقا هذا الكلام إلى حضرة آباقاخان ، صدر الأمر باعتقال مجد الدين بن الأثير والتحقيق معه بخصوص هذا الحديث ، وقد ضربوه مائة عصا أثناء مقاضاته ، ولكن لم تثبت إدانته ، ثم سلموه لصاحب الديوان ، فصفح عما صدر من مجد الملك ، وأصدر منشورا بتوليته حكم سيواس . ولما وقف على ضعف حاله وقلة ماله ، أنعم عليه بسبيكة من ذهب وقطعة من حجر اللعل و براءة (حوالة) بعشرة آلاف دينار باسمه يدفعها له صاحب الروم .

بيد أن مجد الملك وقد أقدم على مثل تلك الأعمال كان لا يزال فى تفكير وخشية . ولهذا صار ملازما لبيسوبوقا كوركان ، وكان يجد فى الإضرار بكل من صاحبى الديوان و إيذائهما دائما ، وكان يبذل الجهود فى هذا السبيل إلى أقصى حد ، وصار ينتهز الفرص حتى عزم آباقاخان على السير إلى خراسان فى أوائل ذى القعدة سنة ٦٧٨/١٢٨٠ فلما بلغ قزوين ، وكان الأمير أرغون قد قدم لاستقباله ، ذهب مجد الملك إلى حضرة أرغون بواسطة المدعو « إياجى » أحد المقربين إلى هذا الأمير وقال له :

[منذ أكثر من عام يريد العبد أن يعرض بعض الأحاديث ، إلا أنه لم يستطع عرضه على لسان الأمراء والمقربين ؛ ذلك لأنه كلما بادر بالكلام ،

عـلم به صاحب الديوان ، فـكان يعطيهم رشاوى كثيرة من أموال الملك لـكتمان ذلك الـكلام .

وحيث إن الأمراء يبيعون مصالح الملك بالإنعام والرشوة ، وأن الأمير لن يبيع مصلحته ؛ فلذلك فـكرت الآن وجئت لهذا السبب لأقول للأمير : « إن أضعاف ما يصل إلى الخزانة من جميع البلاد لايساوى عوائد أملاك صاحب الديوان التى حصل عليها من أموال الملك ، وقد بلغ جحوده وكفرانه بالنعمة إلى درجة اتحاده مع سلاطين مصر» ، وكان « پروانه » حاكم الروم متضامنا مع البندقدار بإيعاز من صاحب الديوان ، وقد لقى « توقو » و « توداون بهادر » « وارقتو » حتفهم بسبب خبثه ولؤم طبعه ، واستحوذ أخوه علاء الدين على ممالك بغداد ، وأعد لنفسه تاجا مرصعا لا يليق إلا بالملوك ، وجمع خزائن لاتحصى ودفائن لاتعد . فلو أن الملك تفضل و أذن لى بالإشراف على صاحب الديوان ، لأثبت أنه قد اشترى باسمه أملاكا من أموال الملك بما يقرب من أربعة آلاف تومان ، وأنه ليمتلك ألفى تومان أخرى من النقود والقطعان والأغنـام . ولو كانت الأموال الموجودة فى جميع خزائن الملك، باستثناء ماجاءوا به من قلاع الملاحدة و بغداد ،تساوى ألف تومان ، فإنى أكون مذنبا ومستحقا للقتل . وحيث إنى مطلع على هذه الأحوال ، فإنه منحنى منشور إيالة سيواس وسبيكة من الذهب وقطعة من حجر اللعل وحوالة بعشرة آلاف دينار ، وذلك ثمنا لسكوتى عنه] .

ثم عرض هذه الأشياء كلها على الأمير أرغون .

فنقل الأمير هذا الكلام إلى حضرة آباقاخان فقال له : « لاتتفوه بهذا الكلام لأحد حتى نتداركه بالتأنى » . وبعد أن غاد آباقاخان إلى دار الملك تبريز ، قضى الشتاء فى نواحى أران. وقد استشهد الملك رضى الدين باباء القزوينى وجلال الدين الختلى فى ذلك الشتاء . وفى ربيع تلك السنة عند مجيئه إلى شرو ياز كان ذات يوم فى الحمام برباط مسلم ، فذهب مجد الملك إلى مسلخ الحمام بتوصية الأمير « طغاجار » ، وعرض على حضرة آباقاخان كل ما سبق أن ذكره للأمير النجل أرغون وزاد عليه كثيرا ، فغضب آباقاخان على صاحب الديوان ، وبعث بالرسل إلى كل البلاد ليلقوا القبض على نوابه ويحضروهم مع سجلاتهم ليجرى تحقيق دقيق فى حضرة السلطان .

فاستنجد صاحب الديوان « باوجاى خاتون » ، وكتب وثيقة يقول فيها : « إن كل الأملاك التى اشتراها خلال هذه المدة ، إنما هى حق وملك للملك » ، فعرضت الخاتون حاله على السلطان استنادا إلى تلك الوثيقة ، وتشفعت له ، حتى استدرت عطف آباقاخان عليه ، وأنقذت الصاحب من تلك الورطة ؛ فصدرت المراسيم بعودة الرسل وعدم التعرض لنواب صاحب الديوان .

فيئس مجد الملك ، وكتب رسالة يقول فيها : « حيث إن الملك قد شمل

صاحب الديوان بالعناية والعطف ، فلا أمان لى منه فى أية لحظة ، فألتمس من الملك إما أن يودعنى عند أحد الأمراء لكى يدفع عنى شر صاحب الديوان ، أو أن يأذن لى بمغادرة هذه البلاد » . فأجاب آباقاخان قائلا : « ولو أننى قد شملت صاحب الديوان برعايتى ، فإنى لم أجعل مجد الملك مذنبا ، فليبق فى المعسكر ، ويكون مع « طغاجار » و « جوشى » « وأوردوقيا » فتقوى قلب مجد الملك بذلك ، وظل ملازما للمعسكر حسب الأوامر الصادرة .

ثم صار يترقب الفرص بالاتفاق مع صدر الدين الزنجانى إلى أن صدر مرسوم فى ربيع سنة ٦٧٩ / ١٢٨٠ يقضى بأن يكون مجد الملك اليزدى مشرفا على جميع البلاد ابتداء من ضفاف نهر جيحون حتى أبواب مصر ، ويكون فى حكم المشارك لصاحب الديوان .

وفى اليوم الذى كان آباقاخان مع جميع الخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء وأركان الدولة وأعيان الحضرة — فى معبد الأصنام بمراغة ، تُليَ عليهم ذلك القرمان وسمعوه . فقال الجميع : « إنه لم يسبق مطلقا لملوك المغول أن أعطوا ايرانيا مثل هذا القرمان » . ثم قال آباقاخان لمجد الملك : « عليك أن تكون يقظا جدا فى شئون الملك والأموال والخزائن والعوائد ، ومطلعا على كل صغيرة وكبيرة ، وأن يكون نوابك مشرفين على جميع الأعمال ، واجتهد فى المحافظة على حسن سيرتك ، ولا تتخلف عن المعسكر فى أية حال .

و إذا تعرض لك أحد ، فإننى أعرف كيف أجيبه » .

فلما نال مثل هذه المنزلة الكبيرة ، احترمه الجميع ، وتوطد مركزه . ولهذا أخذ نجم صاحب الديوان فى الأفول ، ورغم ما كان يبديه من صبر وجلد، فإن أمره لم يزدهر كثيرا . وقد أرسل مجد الملك هذه الرباعية إلى الصاحب شمس الدين رحمه الله :

إننى سوف أغوص فى بحر غمك ،
فإما أن أغرق وإما أن أحوز الدر .
إن التعرض لك خطر ، ولكنى سوف أقدم عليه ،
فإما أن أنتصر فيحمر وجهى ،و إما أن أقهر فيحمر بالدم عنقى:

فأرسل الصاحب هذه الرباعية ردا عليه :

إنه لا ينبغى مقاضاة الملك ،
فيجب إذن تجرع غصص الدهر .
و إن هذا العمل الذى تقوم به ،
إنما تصبغ به بالحمرة وجهك وعنقك .

ولما رأى مجد الملك أن مكائده لن تؤثر فى صاحب الديوان تحول إلى أخيه علاء الدين ، وشرع يكيد له بكل وسيلة حتى صدر الأمر باعتقاله . وقد جلس نائبه مجد الدين بن الأثير أمامه يقول : « إن لك فى

الموضع الفلانى كذا وكذا ، وعند الشخص الفلانى كذا وكذا . وعندما شاهد الصاحب شمس الدين خطورة الموقف ، أرسل إلى أخيه يقول : « لا تنكر شيئا قط حتى لا يلحق بك أذى ؛ فإنهم قالوا :

[لا بارك الله بعد العرض فى المال] » .

فتعهد علاء الدين بأن يقدم ثلاثمائة ألف تومان ذهبا . وبعد سداد هذا المبلغ ، طالبوه بالزيادة — كما سيأتى شرح ذلك — وقد بلغ به الأمر أن قيدوه بالسلاسل ، وأقاموه على جسر بغداد ، وأخذوا فى تعذيبه بصنوف الضرب والإيلام حتى سلم كل ما كان يملكه . ثم باع بعد ذلك أبناءه أيضا .

والخلاصة أن أمره قد اختل تماما ، وارتفعت منزلة مجد الملك والسلام .

حكاية

توجه آباقاخان إلى ناحية الشام واشتباك الأمير منكو تيمور مع المصريين ، وعودة الملك إلى دار السلام بغداد

عندما علم آباخاقان أن أهل الشام يسيرون إلى حدود الروم وديار بكر ، ويهاجمونها ، ويدمرون بلاد المسلمين ، ويأكلون الغلال ، ويثيرون الفتن ، كان يتألم من أعمالهم ، وصمم على السير إلى تلك البلاد ، وقصد الخابور

ورحبة الشام متصيدا . لكنه لم يعبر الفرات ، وأرسل أخاه منكو تيمور فى الطليعة . ولما بلغ هذا مدينة حمص عسكر هناك ، وكان آباقاخان قد نزل من هذا الجانب فى محاذاة الماء بـ « دير بير » ، فهرب أهالى الدير ، وصدر الأمر فنهبوا ذلك الموضع وأحرقوا قلعة زليبيا ، وقاتلوا سكان الرحبة .

وفى التاسع والعشرين من جمادى الثانية من تلك السنة أى سنة ٦٨٠ ﻫ ١٢٨٢ م عاد إلى سنجار . وفى منتصف رجب انضم إلى المعسكرات فى «المحلبية» من أعمال الموصل . وفى يوم الخميس ١٤ من رجب الموافق ١٧ من طوقسونج سنة « موغاى » تلاقت الجيوش فى نواحى حمص . وقد امتد عرض الصفوف إلى ما يقرب من أربعة فراسخ . وكان على الميمنة « مازوق آقا » وجيش « هندوقور » ، على حين كان على الميسرة « اليناق » و « طايجو بهادر » والأمراء « هولاجو » و « قربوقاى » . ثم أمطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهام ، وجرحوا الكثيرين من المصريين والشاميين ، واقتحم « اليناق » ميمنتهم بحملة واحدة ، وطاردهم حتى أبواب حمص ، فخشى هؤلاء عاقبة تلك الحملة ، وقاموا قومة رجل واحد وحملوا على القلب .

وكان الأمير منكوتيمور طفلا ولم يشاهد بعد المعارك الطاحنة . وقد تقهقر «تكنا ودولاداى يارغوچى» من كبار الأمراء ، وارتاع البعض وولوا الأدبار ، فانهزم الجنود ، وهلك من جيش المغول خلق كثير . فلما بلغ « آباقاخان هذا»

الخبر غضب على الأمراء غضبا شديدا ، وقال : «سوف آمر بمعاقبة المقصرين في موسم الصيف عندما ينعقد مجلس المغول (القوريلتاى) . وفى العام القادم سوف أذهب بنفسى إلى الشام ، وأتلافى هذا الأمر » .

وفى يوم الأحد ١٧ من رجب عبر نهر دجلة ؛ ونزل بموضع « كشاف » ومنها توجه إلى بغداد . وفى يوم ٢ من شعبان نزل بنواحى « محوّل » . وقد قدم مجد الملك إلى بغداد لتحصيل ثلاثمائة تومان كان الخواجة علاء الدين قد تعهد بدفعها ؛ وكان هذا قد سلم كل ما كان عنده دفعة واحدة حتى إنه باع أطفاله أيضا ودفع ثمنهم . وبعد كل ذلك سلم وثيقة يذكر فيها : أنه يكون مسئولا ومذنبا لوظهر عنده فيما بعد درهم واحد . وأخيرا أشفق عليه « آباقاخان » ، فأُطْلِقَ سراحه من الحبس فى ٤ من رمضان سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨٢م فحمل عليه مجد الملك مرة أخرى ،وصدر الأمر بأن يذهب مجد الملك إلى بغداد مع الأمير « طغاجار » و « أوردوقيا » للنظر فى حسابات الخواجه ؛ ولتحصيل ثلاثين ومائة تومان من الذهب كانت قد تبقت عليه بموجب المحاسبة . وإذا لم يسدد هذا المبلغ فى هدوء وبلا تردد ، فإنهم يحصلون عليه بالضرب والتشهير ، ولما لم يكن يملك شيئا ، فقد بادروا بتعذيبه واضطهاده ، وكانوا يطوفون به فى المدينة ويضربونه .

حكاية

وفاة آباقاخان بمدينة همذان بعد عودته من بغـــداد

فى الثالث من ذى القعدة سنة ٦٨٠هـ ١٢٨٢م سار آباقاخان من دار الملك بغداد إلى همذان ، فبلغها فى يوم الأربعاء السادس من ذى الحجة ، ونزل فى قصر الملك فخر الدين منوچهر ، وكان دائما منهمكا فى الأخذ بأسباب المتعة واللهو.

وفى ليـلة الأربعاء عشرين من ذى الحجة سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨٢ م الموافق ٢١ من أيكندى سنة . . . . [1] ، خرج فى منتصف الليل لقضاء الحاجة بعد أن أفرط فى تجرع الشراب ؛ فصور له محول الأحوال ومقدر الآجال ، صورة طائر أسود ، كان قد حط على غصن شجرة من الأشجار التى كانت هنالك . فأخذ «آباقاخان» يصيح قائلا : « ما هذا الطائر الأسود ؟ » ثم أمر الرماة برميه بالسهم . وكلما بحث الرماة ودققوا لم يجدوا طائرا قط . ولـكن « آباقاخان » أغمض عينيه فجأة وأسلم روحه اللطيفة وهو على كرسى من ذهب .

وفى يوم الأحد ١٦ من المحرم سنة ٦٨١هـ ١٢٨٢م توفى أيضا منكو تيمور فى بقعة من أعمـال الموصل . وقـد أقيمت مراسم التعزية فى معسكرات « آباقاخان » وحملوا نعشه إلى «شاهوتله » ودفنوه أمام «الايلخان »الأعظم ، وبذلك انتقل الملك من بعده إلى ذويه .

---

١ ـ هكذا فى الاصل .

القسم الثالث
من سيرة آباقاخان

في صفاته الحميدة ، وأخلاقه الكريمة ، والحكم المستحسنة التي قالها ، والنوادر والحوادث التي اتفق وقوعها في عهده مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرفت متفرقة من الكتب والرجال .

تاريخ
تكودار بن هولاكوخان بن تولوي خان بن جنگيز خان
الذي سُمِّيَ بالسلطان أحمد بعد جلوسه على العرش

وهذا التاريخ على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في تقرير نسبه ، وأسماء زوجاته وأبنائه وبناته وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وذكر أصهاره ، وجدول شعب أبنائه .

القسم الثاني : في مقدمة جلوسه ، وصورة التخت والخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء إبَّان جلوسه ، وتاريخه ، وحكايات

عهـده ، وذكر الاضطرابات والحوادث التى وقعت
في تلك الفترة .

القسم الثالث : فى ذكر سيره وأخـلاقه ورسومه وعاداته ، وبعض
الحـكايات التى نسبت إليه ، ونوادر حوادث عـهده
ممـا لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعرفت متفرقة
من الرجال .

القسم الأول
في تقرير نسبه ، وشرح وأسماء زوجاته وأبنائه
وبناته وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا
الوقت ، وذكر أصهاره ، وجدول
شعب أبنائه

أحمد هو الابن السابع لهولاكوخان ، ولد من قوتى خاتون ، وكانت له زوجات ومحظيات كثيرات ، وكانت تسكوز خاتون أكبر زوجاته من قوم القونقرات، ومن بعدها تزوج من « أرمنى خاتون » من قوم القونقرات أيضا ، ثم تزوج من « بايتكين » بنت حسين آقا ، ومن بعدها تزوج من « توداكوخاتون» بنت موسى كوركان، ومن بعدها اقترن بـ« ايل قتلغ» بنت كينشو والدة « طوغاجاق » التى ألقوا بها فى اليم بتهمة مزاولة السحر . وقد تزوج منها عند توليته العرش ، وتوّجها بـ « البوقتاق » . وأخيرا تزوج « توداى خاتون » .

أما أولاده فكانوا ثلاثة على هذا النحو :

« قبلانجى » ، وقد ولد من « أرمنى خاتون » .

« ارسلانجى » ، وكانت أمه « أرمنى خاتون أيضا »

« نوقاجير » ، وكانت أمه محظية تدعى « قماى قورقوجين » .

وأما بناته فكن ستًّا على النحو الآتى :

الأولى ــ تدعى « كوچوك » من تكوز خاتون ، وقد زوجها من اليناق .

الثانيــة ــ « كونجك » ، وأمها أرمنى خاتون ، وهى الآن زوجة الأمير الأكبر ايرنجين بن ساروجه .

الثالثــة ــ « جيجاك » من أرمنى خاتون كذلك ، وقد زوجت من بيوراجو ابن دور باى الذى كان أميرا على ديار بكر .

الرابعــة ــ « ماينو » من أرمنى خاتون أيضا ، وقد زوجت من جندان بن كراى الباورچى .

الخامسة ــ « سايلون » من تودا كو خاتون ، وقد زوجت من « قراجه » من وزراء بلاط اوروك خاتون .

السادسة ــ « كلتورميش» من قينة اسمها قونقورجين ، وكانت قد زوجت من شادى بن بوغو الذى كان قائدا لفرقة من عشرة آلاف جندى (اميرتومان) . وهى الآن متزوجة من طوغاى بن شادى .

القسم الثانى

من تاريخ السلطان أحمد

في مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال،
والأمراء إبان جلوسه ، وتاريخه وحكايات عهده ،
وذكر الاضطرابات والحوادث التى وقعت
فى تلك الفترة

مقدمة جلوسه :

بعد أن توفى « آباقاخان » كان الخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء مشتغلين بالعزاء فى جغاتو ، وقدم أحمد من كردستان . وقبل وفاة « آباقاخان » ذهب « ناردوى الأختاچى » الذى كان شحنة تبريز لاستدعاء الأمير أرغون لمهمة عاجلة ، وكان هو نفسه قد قدم مسرعا إلى تلك الناحية . وفى نفس الوقت أوفدوا « شيكتور نويان » أيضاً لاستدعائه ، فلحق بخدمة الأمير فى المنزل الرابع من الطريق . وفى مدينة مراغه انضم الأمير مع نفر قليل ـ إلى الخواتين والأمراء ، فحملوا إليه الكأس عنوانا للعزاء فى والده . وكان « بوقا » يلازمه ؛ فأمر بأن يكون فى ركاب الأمير ـ جرياً على المعتاد ـ حاملوا الخيام ،وساسة الخيول ، والمشرفون على الأسلحة ، وجماعة من المقربين ممن كانوا

من خواص « آباقاخان » . وكان فى جملة المرافقين له من كبار الأمراء بوقا وشيشى بخشى وطولاداى الإيداچى وجوشى واوردوقيا . وقد رحل هؤلاء إلى نغاتو بعد إقامة مراسم العزاء .

وقبـل وصول الأمير أرغون كان الحاضرون من الأمراء الأنجال : تـكودار واجاى وقونقورتاى وهولاجو وطغاتيمور وجوشـكاب وكينشو وبايدو ، والخواتين والأمراء يتشاورون فيما بينهم بشأن من يقوم بمهمة الحكم . ولما كان العرش شاغرا ، فإنهم كانوا يخشون أن يتطرق الخلل إلى شئون المملـكة إذا ما انتظروا وصول بقية الأمراء .

وفى مجلس شورى أمراء المغول، اتفق رأى الأمراء قونقورتاى وهولاجو وجوشـكاب وكينشو وشيـكتور نويان وسونجـاق آقا وعرب وآسيق وقرا بوقا مع طائفة أخرى على أن يكون أحمـد ملـكا . أما أولجاى خاتون ومن معها من جماعة الأمراء، فكانوا يريدون منـكو تيمور . هذا على حين أن بوقا وأخاه آروق وآقبوقا و بقية المقربين إلى آباقاخان قالوا : « إن الأمير أرغون يمتاز على الجميع بالعقل والرأى والـكياسة والسياسة ، فالملك جدير به ومناسب لشخصه » . وفى تلك الأثناء وصل الخبر بوفاة الأمير منـكو تيمور فارتاحت الأفئدة منه . وكانت قوتى خاتون تميل أيضا إلى الأمير أرغون ، وتعمل على توليته العرش .

وقصارى القول أن الخلاف دب بين هذه الجماعة ، وكان «شيشى بخشى»

أميرا عاقلا كفئا إلى أبعد حد ؛ فحين رأى أن أكثر الأمراء يميلون إلى جانب أحمد ، قال للأمير أرغون : « إن مصلحتك ومصلحتنا تقضى بأن ترضى بتولية أحمد حتى نخرج سالمين من بين هذا الجمع » ، فلما لم يكن الجيش معه ، رضى مرغما .

وفى ٧ « اوجنج » سنة « قويين » الموافق ٢٦ من المحرم سنة ٦٨١ه‍ ١٢٨٢ م اتفق الأمراء جميعا على الأخذ بهذا الرأى وهو تولية أحمد . وبعد ثلاثة أيام عاد الأمير أرغون من « آلاتاغ » ، وسار إلى ناحية «سياه كوه» ، واستولى على خزائن أبيه ، وكان «طغاجار» قادما من فارس ، فوصل إلى الخدمة هنالك . أما « قوتى خاتون » فقد ذهبت إلى ناحية آلاتاغ مع الأمراء الذين كانوا متفقين معها فى الرأى . وكان شمس الدين صاحب الديوان فى خدمة الأمير أرغون . ولما خلص الملك لأحمد ، أرسل « آسيق » — الذى كان أميرا على معسكر « قوتى خاتون » — إلى الصاحب ، فجيء به إلى معسكر أحمد .

وفى يوم الأحد ١٣ من ربيع الأول سنة ٦٨١ه‍ ١٢٨٢ م الموافق ...(١) سنة ...(١) قطعوا العهود وكتبوا الوثائق كالمعتاد . ثم أخذ « قونقورتاى » بيد أحمد اليمنى ،وأخذ « شيكتور نويان » بيده اليسرى وأجلساه على العرش، وقدموا مراسم الأفراح والتهنئة جريا على عادة المغول . ولما كان معتنقا للإسلام ، فقد لقب بالسلطان أحمد .

(١) كذا فى الأصل .

قصـــــة

وصول الأمير أرغون إلى أحمد بعد جلوسه

وسبب هلاك الأمير قنقورتاى ، وشمول الخواجه علاء الدين عطاملك بالعطف ، وقتل مجـد الملك

بعد إقامة مراسم الابتهاجات والأفراح ، أمر أحمد بإحضار الخزائن التى كانت معـدة فى « شاهوتله » ، ووزع مافيهـا على الخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء والمقربين والمحتاجين ، وأغدق على جميع جنود الجيش ، فمنح كل فرد منهم عشرين ومائة دينار .

وعلى حين غرة وصل الأمير أرغون مع ألفين أو ثلاثة آلاف فارس ، وأخـذ يعاتب أحمـد قائلا : « لِمَ لم تنتظر حتى أحضر حفل تنصيبك وأجلسك على العرش ؟ » فأعزه أحمد وأكرمه ، وسلمه عشرين سبيكة ذهبية كانت قد حفظت له ، كما منح الأمير « بايدو » سبيكتين .

وفى تلك الأيام توطدت الصداقة بين الأمير أرغون وقونقورتاى ، وفى مخيم توقيتى خاتون ، التى كانت واسطة تلك الصداقة ، تعاهـدا على العمل معا . وبعد ذلك كانت الرسل تتردد بينهما ، فقتل « قونقورتاى » بسبب ذلك ، وعاد الأمير أرغون من موضع « آلاتاغ » بعد استئذان أحمد ،

ونزل بموضع سياه كوه فى ٢٦ من ربيع الأول .

بعد ذلك أرسل السلطان أحمد الرسل ليحضروا الصاحب علاء الدين عطا ملك الذى كان مسجونا ، وليحضروا مجد الملك كذلك . وكان « ييسو بوقا بن ألتاجو آقا » هو الدافع عن مجد الملك عند أحمد ، فبادر بإثارة الخصومة القديمة مع الخواجه شمس الدين ، وكان أحمد على وشك أن يعهد إليه بالإشراف على البلاد مرة أخرى ، غير أن الصاحب شمس الدين التجأ إلى « أرمنى خاتون » ، فأعيد إلى منصبه السابق ، وارتفع شأنه كثيرا ، بفضل رعايتها له ، وقد حرّض شمس الدين جماعة على الكيد لمجد الملك ، فكانوا يلصقون به التهم بالحق و بالباطل .

فى تلك الظروف أرسل مجد الملك إلى الأمير أرغون رسالة يقول فيها : « إننى من خاصتك ، وإن صاحب الديوان هو الذى أعطى أباك السم . ولأنه يعلم أننى مطلع على هذا الأمر ومُلمٌّ به ، فإنه يعمل على القضاء علىّ . فينبغى أن يكون الأمير على علم إذا مامسنى الضر » .

كان ابن أخى مجد الملك الملقب بسعد الدين واقفا على تلك المؤامرة ، وكان محنقا لأن مجد الملك قد عزله فى تلك الأيام من الإشراف على خزائنه لخصومة بينهما ، فصار يعيش فى عزلة ، فخدعه جماعة من أصدقاء الصاحب وحملوه إليه ، فوعده بمنصب الاستيفاء فى العراق العجمى ، وطيّب خاطره فى الحال ؛ حتى أقبل وأقر بأن مجد الملك متواطئ مع الأمير

أرغون ، وأنه أرسل رسولا إلى حضرته .

وقصارى القول : أنه صدرت الأوامر بأن تعاد إلى الخواجه علاء الدين عطا ملك جميع الأموال والممتلكات التي كانت قد أخذت منه على سبيل المصادرة ،وانثالت عليه الإنعامات الملكية ، وسلموه الأقمشة والأمتعة ، فجاء بها إلى الحضرة وقال : « إن كل ماحصلنا عليه نحن الأخوين ، إنما جميعه من الصدقات الإيلخانية العميقة ، وإني أقدمها في هذا المجلس بعنوان النثار » . ثم أشار بنثرها وتوزيعها كلها .

بعد ذلك صدر الأمر بأن يقوم الأمراء الكبار مثل : « سونجاق آقا » و« أروق » بالتحقيق مع مجد الملك ، فوجدوا بين أمتعته قطعة من جلد الأسد عليها خط غير مقروء ، وقد كتب عليها شيء بالأصفر والأحمر . ولأن المغول يكرهون السحر أشد الكراهية ، فقد ارتاعوا من تلك الكتابة ، وقدموه للمحاكمة ، ودار التحقيق الكثير حول تلك المسألة ، فقال الكهنة والسحرة : « تُنْقَعُ هذه التعويذة في الماء ، ويشرب مجد الملك عصارتها لكي يلحق به شر هذا السحر » . ثم ألزموا مجد الملك أن يقدم على هذا العمل ، ولكنه أبى لأن تلك التعويذة كان قد أعدها الشيخ عبد الرحمن ، ووضعها في أمتعته ، وكان يعلم تمام العلم أنها لا تخلو من مكر وكيد .

بعد ذلك أدين بهذه التهمة ، إلا أن « سونجاق » لم يوافق على قتله ،

ولم يستجب للقضاة رغم إلحاحهم فى الموافقة عليه . وفجأة اتفق أن أصيب بمرض فى قدمه ، فذهب الشيخ عبد الرحمن لعيادته ، وألح عليه حتى قبل (شرب نقيع الجلد) . ثم أجاز قتله ، وصدر فرمان السلطان أحمد بتسليمه إلى خصومه ليقوموا بقتله . فلما ذاع خبر تسليمه ، تجمع خلق كثير . ولكن الصاحب شمس الدين — رحمه الله — لم يأذن بقتله ، وأراد أن يعفو عنه ، غير أن الخواجه علاء الدين والخواجه هارون كانا يُصرّان على قتله ، وسلماه ليلا للعوام فقطعوه إربا إربا . وهكذا قتل فى ليلة الأربعاء ٨ من جمادى الأولى سنة ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م فى موضع « آلاتاغ » ، وأرسلت أطرافه إلى النواحى .

بعد ذلك شمل أحمد الخواجه علاء الدين بالإنعام ، وفوض إليه حكومة بغداد ، ولكن لم يذهب إليها لأنه كانت قد مضت مدة طويلة لم يشتغل فيها بعمل ، وأرسل نوابه للتكفل بالأشغال والأعمال .

قصــــة

نشوب الخلاف بين السلطان أحمد والأمير أرغون ، ومسير أرغون من خراسان إلى بغداد ، ثم عودته إلى خراسان

أرسل أحمد الرسل عدة مرات إلى أرغون لاستدعاء بوقا ، فكان ينتحل عذرا فى كل مرة ، وأخيرا أذن أرغون لبوقا بالذهاب ، فسار هـذا باكيا .

ولمــا قدم على أحمد أكرمته « قوتى خاتون » وأعزته ، وألبسته قباء من ثياب الإيلخان الأعظم ، و بقى هناك ، ولم يزاول عملا .

ثم توجه الأمير أرغون من « سغورلوق » إلى خراسان . وفى ٤ من ربيع الثانى سنة ٦٨١/١٢٨٢ شمل السلطان أحمد برعايته « قونقورتاى » ، وزوّجه من توقيتى خاتون ، وسيره بجيش عظيم للمحافظة على ديار الروم . وفى ١٩ من ربيع الثانى سيّر فى إثره الأمير آقبوقا . وكانت تربطه بالشيخ عبد الرحمن صلة وثيقة بحيث كان يدعوه « ياأبى » . أما « منــكلى » الذى كان من مريدى بابا يعقوب والمقيم فى أران فقد كان يدعوه « ياأخى » ، وكان يتردد على دارهما فى كل حين ، وكانت على مقربة من المعسكر ، فــكان يشغل بالسماع والطرب ، وقلما كان يعنى بتدبير شئون الملك ؛ فــكانت أمه « قوتى خاتون » التى كانت على جانب كبير من العقل والــكفاية تدير شئون البلاد بمشورة « آسيق » .

ومع أن أحمد كان قد نصب ملــكا بفضل جهود « شيكتور نويان » و « سونجاق آقا » ، وكان قد منح شيكتور المظلة وأكرمه ، فإنه مع هــذا لم يكن يعنى بهما كثيرا .

والخلاصة أن أحمد أرسل مولانا « قطب الدين الشيرازى » الذى هو أفضل من فى العالم ــ برسالة إلى مصر ، وذلك بمشورة الشيخ عبد الرحمن والصاحب شمس الدين .

وفى ١٩ من جمادى الأولى سنة ٦٨١/١٢٨٢ ، وفى غرة المحرم من نفس السنـة ، وفد على حضرة « أرغون » الأمير على جكيبان رائد الخواجه علاء الدين ، وابن عبده قتلغ شاه وقالا له : « إن الصاحب قد أرسل شخصا إلى الخواجه وجيه الدين ليسقى الأمير دواء ساما » . فصـدر الأمر بالقبض على الخواجه وجيه فى « قوجان » ونهب دياره . ثم عفا عنه بشفاعة بلغان خاتون ، وأطلق سراحة فى ٢٣ من جمادى الآخرة سنة .... (١) ثم أمر بأن يلازم الأمير على الحضرة حتى يقوم بتحقيق تلك القضية .

بعد ذلك توجه أرغون إلى بغداد بقصـد تمضية الشتاء ، وشمل برعايته « ملك فخر الدين » فى الرى ، وأقره حاكما على تلك البلاد كما كان سابقا . فلما سمع أحمد ذلك الخبر ، أرسل رسولا لاعتقال « ملك » وإحضاره إلى نواحى شروان ، فعذبوه بشتى أنواع التعذيب . فعلم أرغون بذلك ، وأرسل إلى الأمراء وإلى صاحب الديوان يقول : « إن أبى كان قد عهد إلىّ بـ « ملك » ، فكلفته بأعمال دقيقة يسيرة . فما معنى القسوة عليه وتعذيبه ؟ إنه إذا لحق به أذى فسوف ننتقم منهم ، وإن صاحب الديوان يظن أننا سوف نتجاوز عما كان قد ارتكبه » .

وحينما بلغ الأمير أرغون بغداد ، كان نجم الدين الأصفر نائب الخواجه علاء الدين قد توفى ، فقال أرغون : « إن ماتبقى فى ذمة علاء الدين ، كان

(١) هكذا فى الأصل .

من عهد أبي ، وإني أطالب به الآن » . ثم قبض على نوابه وأتباعه ، وشرع في مطالبتهم ومؤاخذتهم . وقد أخرجت جثة نجم الدين الأصفر من القبر ، وأُلقِيَ بها في الطريق .

فلما بلغ ذلك الخبر الخواجه علاء الدين تأثر تأثرا شديدا ، واعتراه صداع ، وتوفي بتلك العلة في مدينة أران في ٤ من ذي الحجة سنة ٦٨١/١٢٨٣ ، فأرسلوا مكانه هارون بن الخواجه شمس الدين حاكما على بغداد .

وفي ذلك الشتاء كان أرغون في بغداد ، وكان يؤيده عشرة آلاف جندي من القراونة الذين كانوا يشتون في بغداد ويصيفون في سياه كوه ، وكانوا في حاشية آباقاخان وملازمين لمعسكراته . كما كان يؤيده كيخاتو وبايدو في مقدمة الأمراء الأنجال ، وطغاجار وجاوقور وحنقوتور ودولاداي ايداجي وإيجي تتغاول وجوشي وقنجقبال من الأمراء ، وسائر حاشية آباقاخان وأتباعه ، فكان أحمد يخشى أن يتفقوا جميعا عليه ، فاختار جندا مقدمهم جوشكاب وأروق وقورمش ليقضوا الشتاء في ديار بكر ، وليحولوا دون اتصال تلك الطائفة بين الروم وبغداد ، وبذلك يستطيع أن يكون آمنا .

وفي الربيع عاد أرغون من بغداد إلى خراسان ، وترك جوشكاب مع الأمراء المذكورين على إمرة الجيوش ، واصطحب معه أوردوقيا وبوقداي الأقتاچي . وحين بلغ الري ضرب الشحنة الذي كان هناك من قبل أحمد ضربا كثيرا بالعصا ، وركب على رأسه قرنين ، وأركبه حمارا ، وبعث به

إلى أحمد ، وكان بعد ذلك يوفد الرسل دائما، يطلب استدعاء صاحب الديوان بحجة أنه هو الذى دس لأبيه السم ، ويطالب بالممتلكات الخاصة التى كان قد استولى عليها أحمد .

لهذه الأسباب اشتعلت نار الفتنة بين أحمد وأرغون . ولما بلغ ارغون « مازندران» ، خرج لاستقباله امكاجى نويان مع عشرة آلاف جندى . ثم استدعى «هندو نويان» الذى كان يحافظ على سواحل جيحون مع عشرين ألف جندى ، وقال لهم : « لقد استدعانى والدى أثناء حياته ، فذهبت إليه حسب الأوامر بغير جيش . فلما بلغت هناك كان قدمات ، وكانت الأمور قد قلبت رأسا على عقب . ولما لم يكن معى جند ، كان لا مفر لى من التسليم . والآن إذا ساعدتمونى أنتم الأمراء ، فسوف أستخلص بحد السيف تاج أبى وعرشه ، وأكون شاكرا لكم سعيكم ، ويبقى لنا الذكر الحسن » . فقال هندونويان : « ولو أن حقيقة الحال هى ما عبر عنها الأمير ، إلا أن أحمد هو الملك الآن . وإذا كان قد نصب « خانا » على تلك البلاد ، فإنك أيضاً — بحمد الله ومنّه — حاكم وملك فى هذه الديار . فاستمع لنصح هذا الشيخ ولا تخالفه . وإذا قصدك أحمد بسوء ، فإننا عندئذ سوف نفديك نحن العبيد بالأرواح ، ونتدارك الأمر » .

وهكذا ظل هندو نويان يبالغ فى النصح على هذا النحو ، ولكن الأمير أرغون لم يصغ إليه ، فقفل هندو نويان راجعا ، ومال لهذا إلى جانب أحمد

الذى كان فى « اوجاور » فى معسكر قوتى‌خاتون . كذلك أخذ الأمير أرغون يفكر فى هذا الأمر .

حـــكاية

قضية الأمير قونقورتاى وهلاكه ، وتوجه أحمد إلى ناحية خراسان ، وانتصار الأمير أرغون بعد ضعف حاله

سار أحمد من هذه الناحية للاصطياف فى « آلاتاغ » ، وأرسل الشيخ عبد الرحمن برسالة إلى مصر ، فزجوا به فى السجن المؤبد فى دمشق ، وبقى فى ذلك السجن إلى أن مات . ثم استدعى أحمد « قونقورتاى » لحضور مجلس الشورى « القوريلتاى » فحضر حسب الأمر ، وظل ملازما للحضرة. وقد أرسل أحمد إلى أرغون خان المدعو « جريك » ، وكان من جملة المقربين إليه ، ومعه تحف من ولاية الروم ، فقدم الأعذار، وشمله أرغون برعايته التامة، وأرسل على يده إلى قونقورتاى طوقين لفهدين .

فلما علم أحمد بذلك ، يئس من قونقورتاى كلية . وقد بلغت الحال بينهما بحيث شاهد الحاضرون أثر التغير على كل منهما . ثم شاع فى الأفواه أن قونقورتاى قد تآمر مع أرغون على اعتقال أحمد فى يوم (كوينكلاميشى) ، وأن

كوچوك أنوقجى وشادى اقتاچى متفقان معه على تلك المؤامرة . وبسبب استبداد أحمد ضاق به ذرعا جماعة من الجنود ، فاتفقوا مع « قونقورتاى » على القبض عليه ، وعينوا ليلة لتنفيذ تلك الخطة ، فعلم أحمد بمؤامرتهم ، وذهب إلى دار صهره عليناق فى اليوم السابق على يوم (كوينكلاميشى) ، وكلفه بأن يهاجم قونقورتاى فى صباح اليوم التالى ، ويقبض عليه ، ويحضره إليه .

وفى ٢٦ من شوال سنة ٦٨٢ / ١٢٨٤ تحدث « عليناق » مع أحمد قائلا : « إن السلطان ينبغى أن يكون مطمئن البال ، فإننى سوف أحضر أرغون كذلك إلى الحضرة مغلول اليدين » . فشمل « أحمد » « عليناق » برعايته ، وأعزه تماما ، ورفع قدره ، وسلمه قيادة الجيوش . وفى صباح اليوم التالى لـ (كوينكلاميشى) فى بداية عام بيجين ، قضوا على « قونقورتاى » فى موضع قراباغ من أران ، وأحاطوا بالمعسكر لمدة ستة أيام باشروا فيها التحقيق وقد أعدموا « كوچوك انوقجى » و « شادى اقتاچى » .

وبعد أن فرغوا من تلك المسألة ، صدر الأمر بالقبض على جوشكاب واروق وطائفة أمراء أرغون الذين كان قد تركهم فى بغـــداد لقيادة المعسكرات ، وهم من قبيل « طغاجار » و « جاوقور » و « حنقوتور » و « تولاداى » و « وايجى تتغاول » و « جوشى » و « قونجقبال » . وسجنوا فى تبريز ، ثم أطلق سراحهم عند وصول أرغون . وقد دخل « گيخاتو » فى الطاعة ، فبعثوا به إلى أحمد ، ولـكنه فر فى الطريق من يد الحراس ،

وسار إلى « ساوه » لخدمة أرغون .

عين السلطان أحمد « عليناق » على رأس جيش لمحاربة أرغون ، فذاع هذا الخبر فى قزوين . وعندما أبلغ القاضى « رضى الدين» حاكم الرى بذلك ، ركب حمارا وما إن بلغ حضرة أرغون حتى قال له : « لقد قضوا على قونقورتاى ، وقتلوا أمراءه والمقربين إليه ، وسجنوا كبار الأمراء . ومنح أحمد « عليناق » فتاة لتكون زوجة له ، وسيره بجيش مجهز إلى « منكقلاى » لمهاجمتك ، وسيأتى هو بنفسه من ورائه » .

وفى يوم الخميس ١٨ من المحرم سنة ٦٨٣/١٢٨٤ تزوج أحمد من « توداى خاتون » ، وأقام حفل الزفاف .

وأعد أكثر من مائة ألف فارس من صفوة المغول والمسلمين والأرمن والكرج مجهزين بالعدد والآلات ، وعلى أتم الاستعداد ، وسيَّر فى الطليعة « تو بوت » و« عليناق » و « ياسار أغول » و « آجو شكورجى » و« غزان آقاء شك توقلى » و « شادى بن سونجاق » مع خمسة عشر ألف فارس ، وكان ذلك فى ٩ من ذى القعدة سنة ٦٨٢/١٢٨٤ . و بعد ثلاثة أيام سقط ثلج كثير ، فتأخر بسبب ذلك « تبوت » و « ياسار » اللذان كانا فى المقدمة . و بعد ذلك سار «عليناق» مع «ياسار أغول» و «تغاى» أخى أحمد من الرضاعة من « قزوين » إلى « منقلاى » وهاجموا هذه المناطق حتى رامين ، وقبضوا على ثلاثمائة أسرة من الأسر الممتازة من أتباع أرغون ونهبوا مساكنهم ، ثم جاءوا بهم فى مقدمة الجنود .

ولما اعلم أرغون بذلك ، أوفد الرسل إلى خزانة جرجان ليجلبوا كل ما كان معدا هناك ، كما أرسلهم إلى مصانع نيسابور وطوس واسفراين لجلب الألبسة . وفى خلال عشرين يوما وصلت إلى عادلية جرجان مبالغ نقدية من الذهب والمرصعات والجواهر والثياب، وزعها أرغون على الأمراء والجنود. وكان « ملك فخر الدين رى » يسجل هذه الأشياء ، فكتب فى صدر السجل هذه العبارة : « ذكر الوجوه الموزعة على العساكر المنصورة » ، ثم دخل أرغون الخزانة ، فأخذ الأوراق من يد فخر الدين ، ومع أنه لم تكن له معرفة بالخط الفارسى ، فقد أمسك بالقلم ، ومصادفة كتب كلمة « المنصور » ، بخط فى غاية الجودة والوضوح ، وكان قوام الدين وزير فارس حاضرا ، فتعجب لتلك المصادفة النادرة ، وقال : « حيث إن القلم المبارك للسلطان قد جرى بكلمة المنصور ، فإن ذلك دليل على أن الله تعالى سينصر الملك » .

وفى اليوم التالى قدم رسول من الرى يخبر بأن «عليناق» قد بلغ قزوين مع أتباعه وجنده ، فسير إليه أرغون « أولاتيمور » فى الطليعة ، ومن ورائه « ايمكجين نويان » وسار هو بنفسه فى طريق « تميشه » ، وترك « شيشى بخشى » على رأس رحله وأتباعه .

وفى الثامن من صفر سنة ٦٨٣/١٢٨٤ سار « أحمد » مع ثمانين ألف جندى من « بيلسوار موغان » ، وفى الثالث عشر من ذلك الشهر وصل رسول يقول : إن جنود أرغون قد ظهروا فى نواحى « طالقان » ، فأرسل

أحمد من حدود « اردبيل » « قورمشى بن اليناق » ليقول لأبيه : « إذا كنتم كثرة ، فبادروا بالقتال ، وإلا فاصبروا حتى نصل » . ثم ترك « أبوكان » على رأس رحله وأتباعه ، وتحرك من مدينة اردبيل فى الثامن عشر من صفر ، وكان يسير مسرعا .

أما أرغون فقد أرسل رسولا إلى نوروز لكى يَقْدمَ على الأثر مع عشرة آلاف جندى من القراونة ممن هم تحت إمرته ، واستدعى كذلك «هندونويان» مع الجيش ، وتقدم بنفسه مع ستة آلاف فارس . وقد تلاقت الطلائع عند مضارب الفرسان الكبرى فاعتقل جندى من طلائع أرغون ، وسيق إلى « عليناق » ، فَأُسْكِرَ ، وأخذ «عليناق» فى استجوابه حتى وقف على حقيقة الحال . ثم تحرك بعد أن استعرض جند « تبوت » و « ياسار اغول » و « شادى كوركان » مع خمسة عشر ألف فارس ماعدا العشرة الآلاف جندى من أتباع « أرقسون » .

وفى يوم الخميس ١٦ من صفر سنة ٦٨٣/١٢٨٤ تلاقى الجيشان فى ضواحى « آق خواجه » من نواحى قزوين . وكان «أرغون» يهاجم الجنود كالليث الهصور حتى أهلك جمعا كبيرا . وقد استمروا فى عراك من الظهيرة حتى المساء ، وانتهى الأمر بانهزام تبوت وعليناق . ثم ساروا مايقرب من عشرة فراسخ من «جمال آباد» حتى حدود «أبهر» . ومن ذلك الجانب داهم « آجوشكورجى » و « غازان بهادر » و « أشك توقلى » — من قبيلة الجلاير — رحل أرغون ،

وجاءوا بنجيب الخادم مع بعض من منهو بات الرحل، فلم يهدأ بال أرغون غيرة وحمية ، وكان يريد أن يتعقب المنهزمين ، لكن الأمراء لم يروا مصلحة فى ذلك .

ولقد كان « لعليناق » فرس عربى ، كانت تجرى خلفه فى وقت الحرب ، ليركبها حين تعجز دابته ، فارتبكت فى ذلك الموقف ، وأخذت تدور حول ميدان القتال ، فلم تبصر « عليناق » ، فعرف أرغون تلك الفرس ، وأمر بضرب حصار حولها ، فأوقعها الأمير « نوروز » فى الشرك واصطادها ، فمنحه أرغون إياها . وأرسل إلى « عليناق » يقول : « لم يخطر ببالى قط أن تتقهقر وتفر منهزما من هذا الجيش الضئيل مع كل مالك من بطولة وشجاعة ! . . وهانحن قد استولينا على جوادك الشهير كحمار أعمى ، وأنت قد فررت هاربا من زئير الأسد الهصور كالنعجة الجبلية » . وكانت الرسالة على هذا المنوال .

ومن هنا عاد أرغون حسب مشورة الأمراء . ولما بلغ طهران الرى ، اتفق « ايكجين بهادر » و بقية الأمراء قائلين : « عندما نبلغ جيشنا ورحلنا ، وينضم إلينا القراونة ، فسوف نكون أكثر استعدادا . وإذا تعَقَّبنَا جيش أحمد فسوف نقاتله فى نواحى كالبوش أعلى جاجرم ، ويكون مثل هذا الوضع أفضل لنا ، لأننا نكون فى عقر دارنا ، وتكون خيولنا مستريحة » .

عاد أرغون وهو على هــذا الرأى . فلما بلغ « دامغان » لم يشاهد أثرا للقراونة ، لأنهم كانوا قد سمعوا فى الطريق أن جيش أرغون قد انهزم ، فارتدوا لذلك عائدين . وعمــدوا إلى السلب والنهب فى الطرق . ولمــا بلغ « أرغون » « بسطام » بادر بزيارة سلطان العــارفين أبى يزيد ــ قدس الله روحه العزيز ــ وتوسل به طلبا للحاجة ، والتمس من الله الظفر والنصرة . أما أحمد فــكان قد التجأ إلى الشيخ البــابى وأتبــاعه ؛ وكان يطلب منهم المعونة والتوفيق . وفى نهاية الأمر ظهر أثر التقرب لــكل منهما إلى الحق تعالى :

إن الذى يتوسل بالبــابى الميت ،
يفسد عمـــــــله بلا محـــالة .
ولــكن الذى يطلب المددمن بايزيد ،
يزداد عمـــــــله ازدهارا وقوة .

وفى يوم الاثنين ٢٠ من صفر قــدم رسول من قبل « تبوت » إلى أحمد ، وأخبره قائلا : « لقد حاربنا أرغون ، ففر منهزما ، وأسرنا كثيرا من جنده وسوف نحضرهم معنا ، ولــكن جند [كجيكه] لم يلحق بنا » . فأقاموا الأفراح فى ذلك اليوم . وفى ٢٣ من صفر لحق أحمد بـ « تبوت » فى « شروياز » . وقد أعدم « جريكتمور بن توكال بخشى » بسبب ممالأته لأرغون . وفى اليوم التالى سيّروا « هولاجو أغول » إلى ناحية الرى مع

عشرة آلاف جندى . ثم أمر أحمد الأمراء بأن يتعهدوا جميعا كتابة بألا يخرجوا عما يشير به بوقا ، فتعهدوا كلهم بذلك ماعدا « عليناق » .

وفى ٢٨ من صفر غادر أحمد « قونقور أولانگ » ، تاركا أرمنى خاتون والمعسكرات ، وكلف « سونجاق آقا » بملازمتها . ثم استأنف الجنود القتل والنهب فى نواحى قزوين ، ولا سيما جند الكرج حتى وصلوا إلى خراسان ، فكانوا يشقون على الناس بشتى أنواع التعذيب . كما نهم نهبوا كل ماوجدوا ، وشنوا الغارات .

فلما اطلع أرغون على حقيقة نية أحمد ، أراد أن يجمع الجنود المتفرقة ، وأرسل « لكزى » و « أردو بوقا » برسالة إلى أحمد ، فقابلاه فى موضع « آق خواجه » من نواحى قزوين ، والتمسا منه الصلح . وفى اليوم التالى قطعا العهود والمواثيق ثم عادا ، وكان نص رسالة أرغون : « كيف أستطيع أن أشهر السيف فى وجه سيدى ؟ إنى لا أكن له فى ضميرى خصومة قط ، بيد أنه لما جاء « عليناق » . ونهب ثقلى ، وسبى أهلى ، بادرت بصده لكى أستنقذ الأسرى من أتباعى . لقد هاجمنى مدفوعا بتهوره ، فكان علىّ أن أقاتله » :

فأجمع أمراء أحمد قائلين له : « إن أرغون ابنك ، والجيشان من أصل واحد . وقد صار الجو حارا ، وهلك كثير من الدواب . فالمصلحة فى العودة ، خصوصا وأن أرغون قد ندم على مافعل » . ولكن أحمد لم

يصغ لقولهم . وفى اليوم التالى تقدم السيدان صدر الدين وأصيل الدين نجلا المرحوم الخواجه نصير الدين الطوسى قائلين : « ليس من المصلحة أن يزحف الجيش ، وذلك حسب أحكام النجوم » . فتضايق أحمد جدا وأنَّبهما على ذلك .

وفى يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول سنة ٦٨٣/١٢٨٤ قدم إلى قرية « سرخه » من أعمال سمنان الأمير غازان وعمر اغول بن تكودر اغول ، وكان فى صحبتهما « نوقاى يارغوچى » . كما وصل شيشى بخشى ورُسل أرغون بعنوان الرسالة وطلب الصلح . وفى اليوم الثالث أوفد أحمد من رباط آخر الأميرين النجلين « تغاتيمور » و« سوكاء » والأميرين « بوقا » و« دولاداى يارغوچى » برسالة إلى أرغون مضمونها : « إذا كان أرغون مطيعا لنا ، فليأت بنفسه ، أو يرسل إلينا گيخاتو » . فقال له بوقا : حيث إننا ذاهبون للصلح فينبغى ألا تتقدم أكثر من هذا » . فأجاب قائلا : « سأتوقف فى خرقان حيث المراعى إلى أن تجئ » . وفى ١٧ من ربيع الأول ارتحل من هناك ، وبلغ فى اليوم التالى دامغان ، فنهب جنوده المدينة وعذبوا الناس بشتى أنواع العذاب ، ثم بلغ « خرقان » فى ٢٠ من الشهر المذكور . وقد عاد من هناك الأمير غازان ومن بصحبته .

وفى خلال هذين اليومين دخل فى طاعة أحمد « حيرقوداى » أمير الكتيبة (اميرهزار) وأخوه « يسودار » و « بلغان » شحنة شيراز وطائفة الرماة ،

وسيّر عليناق فى المقدمة على رأس جيش . وفى يوم الأربعاء ٢٨ من الشهر المذكور نزل بموضع كالبوش . وفى يوم الجمعة سلخ ربيع الأول وصل الأمير « گيخاتو » مع الأمراء « تغـاتيمور » و « سوكا » و « بوقا » و « نوروز » و « بورالغى » .

ولما رأى بوقا أن أحمد لم يف بوعده ، لم يطق صبرا ، وتضايق ، وعدّ ذلك دليلا على سعادة « أرغون » . وفى اليوم التالى أى غرة ربيع الثانى عاد نوروز و بورالغى . وفى يوم الاثنين الثالث من هذا الشهر رحل أحمد من « كالبوش » . وفى خلال هذين اليومين دخل فى الطاعة « بولايتمور » « وامكاجين بن سونتاى نويان » : ثم أنّبَ أحمد بوقا و بقية الأمراء لأنهم كانوا قد أشاروا عليه بالتوقف ، وقال لبوقا : « هل كان رأيى هو الأفضـل أو رأيك ؟ » فأجاب بوقا : « إن رأى السلطان هو الصواب ، فإلى أين تصل آراؤنا نحن الرعية ؟ » . فقال أحمد : « عندما نقابل قوتوى خاتون ، سوف نتحدث عن هذا هناك » . وحيث إن كلامه كان تهديدا ووعيدا ، وكان قد أحرج بذلك صدر بوقا، وقدم عليه آقبوقا ، فإن بوقا ازداد حرصا على تقوية شأن أرغون وتأييده .

وفى يوم الأحد ٩ من ربيع الثـانى بلغ أحمد « قوجان » ، وسمع نبـأ تحصن أرغون فى موضع « كلات كوه » ، وكان أرغون قد توجه ليـلا مع بورالغى ونوروز و بوقداى الاختاچى وتاربای من قوجان إلى كلات كوه ،

ولم يكن قد بقى معه فى صباح تلك الليلة إلا نفر معدود من خاصته . ثم دخل أرغون قلعة كلات مع بولغان خاتون . وعندما سمع « نوروز » خبر وصول « عليناق » ، انحنى فى مواجهة أرغون ، وتقدم قائلا : « الرأى هو أن نسير الآن ، ونعبر جيحون ، ونذهب إلى « قوينجى » ، و بمعونته نتوجه من هناك لصد العدو » ولكن أرغون لم يلتفت إلى ذلك الكلام .

ثم دخل فى طاعة أحمد « لكزى » وزوجته ، وزوجة « أرغون آقا » . وقد قال لكزى لأحمد : « لو أمرتنى ، لسرت وجئتك بأرغون » فأذن له أحمد بذلك ؛ وسار لكزى بجيش ، وهاجم معسكر قتلغ خاتون ، ونهب رحلها ، فذهب إليه نوروز ، وحاول رده ومنعه ، فتقدم لكزى بوقاحة وأمسك بعنان نوروز وقال له : « لن أدعك تعود ، يجب أن تحضر لدى أحمد لتكون فى ملازمته » . فمد نوروز يده إلى السيف ، وقال : « إنى لن أعرض عن أرغون ما حييت ، وأهب حياتى من أجله ، فلتكن له السعادة ، إذ أن الدنيا لا تبقى على حال :

بمقدار ما تدير فى إصبعك خاتما ،
تدور بمائة وجه هذه الحكومة »

فلما عرف لكزى أنه لن يتيسر له إقناعه تركه ، وعاد إلى أحمد بخزانة زاخرة بالأموال ، فخصه أحمد بنصيب وافر منها . وبينما كان أرغون يتشاور فى القلعة مع الأمراء ، وصل « عليناق » فنزل أرغون بمفرده من

القلعة على مقربة من الجيش ، وأخذ ينادى « عليناق » . فترجل عليناق أمام الصفوف ، وقبل الأرض وقال له « ياابن ملك العالم ، إن عمك مشتاق لرؤيتك » . فرد عليه « التاى » : « إن أرغون يسير ليرى أحمد » .

وعلى الفور قصد أرغون معسكر أحمد مع « بولغان خاتون » ، فقدم على أحمد فى يوم الخميس ١٣ من ربيع الثانى ، فعانقه أحمد ، وقبل وجهه . ثم عهد به إلى « عليناق » قائلا : « قم برعايته جيدا حتى نستفتى فى أمره قوتى خاتون عندما نحضر عندها » فقال عليناق : « حيث إن العدو قد وقع فى يدك فالأولى أن تجهز عليه فى هـذه الليلة » . فقال أحمد : « إنه لا يملك جندا ولا مالا . فماذا عساه أن يصنع ؟ » . ثم أمر باعتقال شيشى بخشى وقدان واورتيمور القوشچى و بورالغى . وكان يوم الجمعة ١٤ من ربيع الثانى هو يوم الرحيل . وفى يوم السبت ١٥ من هذا الشهر كانت حفلة « بولغان خاتون » ، وقتـل أورتيمور القوشچى و نيـكبى القوشچى وأخا قاجار الأختاچى بسبب تأييدهم لأرغون .

ولما كان أحمد قد غلبه الحنين إلى « توداى خاتون » ، فقد ترك « عليناق » للمحافظة على أرغون ، والأمراء لقيادة الجيش ، وتحرك مع خاصته فى يوم الأحـد ١٦ من ربيع الثانى قاصدا أسرته وعشيرته . ولـكن بوقا تقدم إليه قائلا : حيث إن «قبجاق أوغول » من ذرية جوجى قسار قد طلب الإذن له بالزواج ، و بيننا و بينهم مودة وألفة ، فإنى أريد

الانتظار للموافقة على تلك الخطوة . فقال أحمد : « يجوز ذلك » . وهكذا تخلف « بوقا » متذرعا بهذه الحجة .

أما أرغون فقد كان حزينا كئيبا فى يد الحراس الموكلين به ، وكانت بولغان خاتون تطيب خاطره وتشجعه ، فتقول له : « الليالى حبالى » . وقد أراد بوقا — اعترافا بما لآباقاخان عليه من نعم — أن يمهد الأمر لأرغون ، ويسلمه الملك . ولكن قبل أن يقدم على هذه الخطوة أخذ فى استمالة « ييسوبوقا كوركان » و « آروق » و « قورمشى » الذين كانوا من أقاربه . ثم تحدث إلى تكنا ، ومن بعده إلى أرقسون نويان بن كوكا ايلكا . وكان يقول لكل واحد من الأمراء فى غياب الآخرين : « إن أحمد قد تشاور مع المقربين إليه مثل سوكا وتوبوت وعليناق وأبو كان ، واتفق معهم على أن يقضى على جميع الأمراء فى نواحى اسفراين . وحيث إن الأمر على هذا النحو ، فلماذا لا نتدارك أمرنا اليوم وننتهز الفرصة ؟ » . وكان اروق ملازما لجوشكاب فقال : « إن هذا قول صادق لأن قورمشى بن هندوقر قد أتى وذكر أن أحمد كان يقول هذا الكلام لعليناق ولحاشيته فى يوم حفل بلغان خاتون » . ثم نقل بوقا وآروق تلك الأخبار إلى جوشكاب ، كما نقلها « تكنا » إلى « هولاجو » .

واستقر رأى بوقا والأمراء على أن يكون تنفيذ هذا الأمر بواسطة

المقدمين من أبناء هولاجو ، فقال هؤلاء : « إن بوقا هو المقدم على الأمراء » . وقد اتفق الجميع على ألا يخالفوا رأيه . كذلك اتفق معهم أرقسون نويان مع عشرة آلاف من جنوده .

ولما كان عليناق قد أحرز الظفر والنصر ، فإنه كان يمضى أوقاته ليلا ونهارا فى اللهو والمجون مدفوعا بدافع الكبرياء والغرور . كما كان فى غفلة عن تقلبات الدهر . ثم استدعى الأمير « بوقا » المدعو « ايمجك » أحد الحراس على أرغون ، وأخذ عليه أيمانا بالمغولية بألا يفشى السر الذى يبوح به إليه ، وقال له : « أبلغ أرغون كى يبالغ فى التودد إلى عليناق ، وأن يسقيه ومن معه شرابا كثيرا ويبقى هو يقظا » . ثم أرسل الأمير « بورالغو » الذى كان أخا من الرضاع لأرغون لهذه المهمة أيضا ، واتفق مع « آروق » « وقورمشى » على أن يسكرا « قرانوقاى » و « تايتاق » ويجعلاهما ثملين غير يقظين .

ثم أعد الجميع حفلا للهو والشراب ، ودعوا إليه « عليناق » فأجاب : « إن هذه الليلة هى نوبتى فى المحافظة على أرغون ، فلا أستطيع أن أشغل بالشراب » . فتعهد جوشكاب بالمحافظة عليه . وهكذا استدرجوا عليناق إلى الشراب ، ونام مبكرا وقت صلاة العشاء ثملا إلى أقصى حد ، فذهب بوقا مع ثلاثة من الفرسان إلى داخل الخيمة على سبيل الحيطة والحذر ، وأرسل أحد الفرسان ، فسار داخل الخيمة بهدوء وحذر حتى أيقظ أرغون ،

وقال له : « إن بوقا قياما بالوفاء لك ، قد حمل الأمراء الأنجال ، والأمراء والجنود على نصرتك ، وقد حضر لكى ينقذك ».

فظن أرغون أن بوقا يريد بهذا الكلام المكر به ، فتوجس خيفة ؛ فأقسم له ذلك الشخص أيمانا مغلظة بأن بوقا يقول الصدق ، وليس ثمة خوف . فخرج أرغون من الخيمة ، وشاهد بوقا فسأله : « ما هذه الفتنة ؟ » :

فأجاب : إن الإقبال أصبح حليفك ،
وانقلب حظ العدو .

ثم أركب أرغون ، وسارا مع الفرسان . وعندما بلغوا منطقة المعسكر الثالثة ، قال حارس مغولى : « إنكم دخلتم أربعة فرسان ، فكيف تخرجون الآن خمسة ؟ » . فأجاب بوقا : « لقد كنا خمسة فرسان ، ولا بد أن عينك كانت ناعسة ، إذ دخلوا و بينهم فارسان متجاوران فظننت أنهما فارس واحد ، فأنت فى سهو وغفلة » . فقال الحارس : « لا بد أن هذا كذلك » . وهكذا مروا جميعا بسلام ، وذهبوا إلى دار بوقا ، فتسلح أرغون ، ثم ركب جوادا عربيا . و بادروا بالذهاب إلى « عليناق » ، وقتلوه فى الخيمة . ثم رفع على تمغاچى تبريز وهو أحد الملازمين لبوقا طرف الخيمة ، وفصل رأس عليناق عن جسده ، ورمى به إلى الخارج ، وكان ذلك فى ليلة

الثلاثاء ١٨ من ربيـع الثانى سنة ٦٨٣ / ١٢٨٤ .

وفى تلك الليلة أيضا أوفدوا « أرقسون » برسالة إلى هولاجو وتـكنا بشيركوه يقولون فيهـا : « لقـد قتلنا عليناق وتايتاق . فعليـكما أن تقتلا يا سار اغول وأبوكان . وكان هولاجو ناقما على « يا سار » ، فخنقه بوتر القوس ، وتحفظ الحرس على أبوكان . وفى تلك الليـلة اعتقلوا قرابوقا ابن التاجوى البيتكچى وتايتاق وتوبوت مع جماعة آخرين ، وقتـلوا بعضهم فى اليوم التالى ، وأطلقوا سراح البعض الآخر ، وبهـذا أصبح أرغون الذى كان محبوسا فى الليل ، ملـكا للعالم فى الصباح .

حينما وقع ذلك الحادث ، لم يـكن أحمد قد بلغ بعـد « جوربد » ، ولم يـكن قد لحق بالمعسكرات و « بتوداى خاتون » . وكان فى صحبته الأمير النجل كينشو ، وامكجين وآقبوقا ولـكزى نيم روز من الأمراء . ثم قدم عليه جندى من كتيبة تايتاق ، وأبلغه حقيقة الحال ، فاستشار أحمد الأمراء ، وعاد عاقدا العزم على القتال ، وفجأة جاءه رجل من قبل مازوق القوشچى وقال له : « إنهم قتلوا جميع أتباعك ، واتفقوا على قتلك . ولقد أفلت الزمام بحيث لا يمـكن تدارك الأمر . فإذا كان لك قدرة ، وأمامك فرصة فلذ بالفرار وانج بجلدك » .

فعاد أحمد منهزما . وعندما بلغ كالبوش ، اختلى برهة بتوداى خاتون . وفى ١٩ من ربيـع الثانى سنة ٦٨٣ / ١٢٨٤ فر هائما على وجهه فى نواحى

« اسفرايين » ، فقابل فى الطريق « يولاتيمور » وأتباعه الذين كانوا قادمين من « مازندران » ، فقضى عليهم ، وسار نحو قومس والعراق .

أما الأمراء الأنجال ، والأمراء من أتباع أرغون ، فقد أرسلوا « بوره » شحنة إصفهان بعد مقتل « عليناق » لـكى يخبر فرقة القراونة البالغ عددها عشرة آلاف جندى حتى يسيروا ويعتقلوا أحمد . كذلك سيّروا المدعو « جريك » المغولى قائد معسكر « قونقورتاى » بأربعمائة فارس فى إثر أحمد ، ومن ورائه بعثوا بطولاداى يارغوچى مع أربعمائة فارس آخرين . وكانوا يتعقبون أحمد فـكانوا ينزلون فى كل موضع يرحل عنه .

ولما بلغ « بوره » القراونة ، ركبوا جميعا ، وساروا قاصدين أحمد . وفى يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الثانى قدم هولاجو وكينشو على حضرة أرغون فى خرقان . وقد اعتقل الأمير « آقبوقا » الذى كان قد صار من مؤيدى أحمد ، والذى كان بوقا متضايقا منه .

ثم تشاور الأمراء الأنجال والأمراء فيما بينهم بشأن مَنْ يتولى الملك ؟ فـكان « بوقا » يميل إلى « أرغون » ، « وآروق » إلى « جوشكاب » ، « وتـكنا » إلى « هولاجو » . وقد قال « تـكنا » : « إن هولاجو هو ابن هولاكوخان ، وفى حالة وجود الابن لا يصل الملك إلى الأحفاد » . وقال « آروق » و « قورمشى » : « إن جوشـكاب يملك المناطق الـكبيرة وهو من حيث السن السيد المقـدّم ، فهو إذن الجـدير بالملك » . أما بوقا فقال :

«إن القاآن الذى هو مَلِكُ الربع المسكون والسيد لكل أرومة جنكيزخان ــ قد منح ملك إيران بعد موت أخيه هولاكوخان ــ ابنه الأكبر آباقاخان الذى كان أعقل وأكمل رجال الأسرة . وهذا الملك ينتقل من بعد آباقاخان عن طريق الوراثة إلى ابنه وخلف صدقه أرغون . وإذا لم يكن الفضوليون قد تدخلوا فى هذه المسألة ، لخلص التاج والعرش لأبنائه ، ولما وقعت كل هذه الفتن والاضطرابات . والله تعالى يعلم إلى أى مدى ستصل هذه الفتن » .
فلما بدأ تكنا يحتد و يثور ، سل بوقا سيفه وقال : « ما دام هذا السيف فى يدى،فلن يرتقى أحد العرش سوى أرغون » . وأخيرا سأل الأمراء تنككيز كوركان قائلين : « ما مضمون وصية آباقاخان؟ » فأجاب : « إننى وشيكتور آقا سمعناه يقول : [يكون منكوتيمور ملكا من بعدى ، ويكون أرغون ملكا من بعده] » . فصرخ « تكنا » فى وجهه قائلا : « ممن سمعت هذا الكلام ؟ . إنك تقوله من نفسك » . عندئذ قال أرغون : « اتركونى وشأنى فأنا لا أريد الملك ، وإنى قانع بمنطقة خراسان هذه التى منحنى إياها أبى » .

فقال بوقا : « أيها الأمير ! إنك فى بادئ الأمر قبلت أحمد ملكا لجهلك . أما الآن فأنت ترضى بهذه الحالة لعجزك فتزداد بذلك الفتن . ومع هذا فالخصم لم يقبض عليه بعد . فلماذا نتنازع ونتجادل . فالرأى هو أن نسير جماعات إلى أطراف البلاد لكى نقبض على أحمد ، ثم نصل إلى حضرة أولجاى خاتون وبقية الخواتين ، ونقر الملك لأحد الأنجال بمشورة

الجميع . ولما كان تكنا قد جاء ليتعقب أرغون ، فالأولى به أن يتعقب الآن أحمد ، و يسير فى إثره » . وانتهى الكلام بهم عند هذا الحد .

وفى يوم الثلاثاء ٢٥ من ربيع الثانى سار أرغون و بوقا فى الطليعة فى إثر أحمد ، ومن بعدهما آروق وجوشكاب ، ومن ورائهما هولاجو وكينشو . وأخذ تكنا طريقه فى المسير عقب كل الطوائف .

وفى يوم الخميس ٢٧ من ربيع الثانى نزل أحمد فى موضع « قونقور اولانگ » ، ونهب دار بوقا ، وأراد أن يتعرض لزوجته وطفله ، فمنعه سونجاق . ثم تحرك فى اليوم التالى من « شرو ياز » . وفى يوم الإثنين ٢ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣ / ١٢٨٤ وصل أحمد إلى معسكراته ، فقال لأمه : « لقد أنهيت مسألة أرغون ، وسارعت بالمسير لكى أراك » .

بعد ذلك أخذ أحمد يتأهب للفرار نحو دربند ، فعلم بذلك « شكتور آغا » ، فأرسل إلى « قوتوى خاتون » يقول : « إننا عبيد للعرش ، والآن قد وصل جميع الرسل قائلين : [إن جميع الأمراء قد اتفقوا على القبض على أحمد] . فما ذنبنا نحن العبيد ؟ فالمصلحة هى أن نجلس أحمد وحده فى وثاق حتى يتلاقى أفراد الأسرة ، ويتشاوروا فيما ينبغى عمله » . فأذنت قوتوى خاتون بذلك ، وأنفذ شكتور نو يان ثلاثمائة رجل بعنوان الحراسة على أحمد .

وفجأة وصل جنود القراونة ، ونهبوا تلك المعسكرات ، حتى لم يبق شىء

فى مضارب الخيام سوى رماد مواقد القــــدور ، وتركوا قوتوى خاتون وتوداى خاتون وأرمنى خاتون عرايا . ثم قام ألفـــــان من رجالهم بحراسة أحمد .

وفى يوم الأربعاء ١١ من جمادى الأولى عبر أرغون نهر تمور ، ونزل فى معسكر الخواتين ، وأرسل « نوركاى يارغوچى » ، وكلفه بحراسة أحمد . وفى يوم الأحد نزل فى موضع آب شور من ضواحى « يوز آغاج » . وقد أطلق سراح الأمراء طغاجار وقو نجقبال وطولاداى الذين كانوا معتقلين فى تبريز ، فبلغوا الحضرة فى نفس ذلك اليوم .

وقد اتفق الخواتين والأمراء على تولية أرغون ، و بايعوه . ثم أحضر أحمد ، وأخـذ تـكنا ونوركاى يارغوچى وأتباع قونقورتاى فى استجوابه قائلين له : « بأى ذنب قتلت قونقوتاى وكوچوك اللذين كانا قد أديا خدمات جليـلة لآباقاخان ، وساعداك على تولية الملك ؟ . ولمـاذا أرسلت « عليناق » لينهب ديار أرغون وممتلـكاته و يسير بأتباعه أسرى ، رغم أنه كان من حقه أن يحتل مقام أبيه ، ومع هـذا اعترف بك ملـكا ، وقنع بخراسان وحدها ؟ » . فأجاب أحمد . « لقد أسأت التصرف وأخطأت ، ولن أخطىء بعد هـذا » .

فأراد أرغون والأمراء أن يتجاوزوا عن ذنبه و يصفحوا عنـه مراعاة

لخاطر أمه « قوتوى خاتون » التى كان لها مقام كبير . ولـكن صرخ فى وجوههم والدة قونقورتاى وأبناؤه وأتباعـه . وفى أثناء ذلك وصـل يسو بوقا كوركان ، وقال : ما الداعى للعطف ؟ فإن الأميرين هولاجو وجوشكاب قد عقدا جمعية كبيرة فى نواحى همذان ، واحتدم الخلاف بينهما . ولهذا صدر الأمر بقتل أحمد قصاصا بدم « قونقورتاى » . فقضوا عليه فى ليلة الخميس ٢٦ من جمـادى الأولى سنة ٦٨٣ / ١٢٨٤ الموافق ٢٨ من آلتينج سنة. داقيقو بنفس الصورة التى قتل بها قونقورتاى . وكما تدين تدان .

القسم الثالث

من تاريخ أحمد

في ذكر سيره وأخلاقه ورسومه وعاداته ، وبعض الحكايات المنسوبة إليه ،
والنوادر والحوادث التي وقعت في عهده
مما لم يدخل في القسمين السابقين
وإنما عرفت متفرقة من
الرجال والكتب

تاريخ
أرغون خان بن آباقاخان بن هولاكوخان بن تولوي
خان بن چنگيز خان

وهذا التاريخ على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في تقرير نسبه الرفيع ، وأسماء زوجاته وأولاده وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وذكر أصهاره وبعض أقاربه وشرح أحوالهم ، وجدول شعب أبنائه .

القسم الثانى : فى مقدمة جلوسه المبارك ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء إبان جلوسه على سرير الخانية ، وتاريخ ملكه ، وقصص الحروب التى قام بها والفتوح التى تيسرت له .

القسم الثالث : فى سيره وأخلاقه الحميدة ، وكلماته الحكيمة ، وأمثاله وحكمه المستحسنة التى تفوه وأمر بها ، والحكايات التى وقعت فى عهده مما لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعرفت غير مرتبة ومتفرقة من الرجال .

القسم الأول

من تاريخ أرغون خان

فى تقرير نسبه الرفيع ، وأسماء زوجاته وأولاده وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وذكر أصهاره وبعض أقاربه وشرح أحوالهم وجدول شعب أبنائه

أرغون خـان هو الابن الأكبر لآباقاخان ، ولد من « قيميش ايـكاجى » ، وكانت له زوجات ومحظيات . وقد تزوج من قوتلوق خاتون بنت تنككيز كوركان قبل جميع زوجاته . فلما توفيت أراد أن يتزوج من ابنة أخى « اولجتاى » بنت « سولاميش » التى كانت أمها « توداكاج » . ولمـا كانت لا تزال فى سن الطفولة ، فإنه لم يدخل بها وتزوج بعد ذلك من « اوروك خاتون » بنت « ساروجه » أخت الأمير « ايرنجين » من قوم « كرايت » ، وساروجه هو أخو توقوز خاتون . ومن بعـدها تزوج من سلجوق خـاتون بنت السلطان ركن الدين سلطان الروم . ثم تزوج من « بولغان خاتون » التى كانت كبرى خواتين آباقاخان . وبعد وفاتها تزوج بدلا منها بولغان خاتون بنت اوتمـان بن اتباى نويان الذى هو حى الآن .

ومن المحظيات أخـذ « توداى خاتون » محظية أبيه ، وأحلها محل « مرتاى خاتون » ، وأخـذ « قولتاق ايـكاجى » ، و« قوتى » بنت قتلغبوقا بن حسين آقا ، و « اركنه ايـكاجى » التى كانت محظية آباقاخان من قبل .

أما أبناؤه فهم أربعة :

الأول : غازان خان وأمه « قولتاق ايكاجى » .

الثانى : ييسور تيمور وأمه اوروك خاتون .

الثالث : اولجايتو سلطان وأمه اوروك خاتون أيضا .

الرابع : خطاى أوقول وأمه قوتلوق خاتون التى تسمى سگنداس .

وأما بناته فهن أربعة :

الأولى : « اولجتاى » وأمها اوروك خاتون ، وكانت خطيبة قونجقبال ثم زوجت لآقبوقا ، ولها الآن ولد هو الأمير حسين .

الثانية : اولجايتمور ، وأمها اوروك خاتون . وقد زوجت لتوكال ، ومن بعده زوجت للأمير المعظم قتلغشاه نويان وقد توفيت قبله .

الثالثة : قتلغتيمور ، وأمها اوروك خاتون أيضا ، وتوفيت قبل أن تتزوج .

الرابعة : « دلانجى » ولدت من بولغان خاتون ثم توفيت .

القسم الثانى

من تاريخ أرغون خان

فى مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء إبان جلوسه على سرير الخانية ، وتاريخ ملكه ، والفتوح التى تيسرت له ، ومدة حكمه

مقدمة جلوسه على سرير الخانية

اجتمع جميع الخواتين والأمراء فى موضع « آب شور » من نواحى « يوز آغاج » واتفقوا على تولية أرغون ، كما ذكرنا من قبل فى سيرة أحمد . ثم غادر أرغون ذلك الموضع ، ونزل فى موطن « سوكتو » . وقد وصل الأميران « هولاجو » و « گيخاتو » واتفقا مع سائر الأمراء فى ذلك الشأن .

وفى يوم الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣/ ١٢٨٤ الموافق ٢٩ من آلتينج سنة داقيقو ، و بعد أن اختار المنجمون الطالع المسعود من برج القوس ، أخذ « هولاجو » بيد أرغون اليمنى ، وأخذ انبارجى بيده اليسرى ، وأجلساه على العرش ، وطوق الجميع أعناقهم بالأحزمة ، حسب العادات المتبعة ، ثم ركعوا له ، وتناولوا الكئوس ، وعمدوا إلى اللهو والشراب .

حكاية

الأحكام التى أمر بها أرغون بعد جلوسه بخصوص الشئون الكلية وإدارة مصالح البـــلاد

وبعد أن فرغوا من الاحتفالات والأفراح ، بادر الملك بارسال المراسيم الملكية إلى أطراف الممالك بقصد استمالة الرعية ، حتى هدأ العالم المضطرب . ثم شمل الأمراء بعطفه البالغ ، وطيب خاطرهم بالوعود الحسنة .

وفى سلخ جمادى الأولى قدم الأمير كينشو ، مع أنه وجوشكاب لم يكونا راضيين قبل ذلك ، وكانا أس الفتنة . وفى ذلك اليوم عُقِدَ اجتماع باتفاق مع الأقران والزملاء . ثم حاكموا « ابوكان بن شيرامون نويان ابن جورماغون » ، وقتلوه لأنه كان من المقربين إلى أحمد .

بعد ذلك صدرت الأوامر بألا يشق أى مخلوق على أتباع أحمد ولا يتعرض لأحد منهم ، وأعلنوا أن على الجميع أن يحافظوا على مسلك آبائهم وأجدادهم ، وألا يضطهد الواحد منهم الآخر ، وأن يشتغل الرعايا بالعمارة والزراعة فارغى البال .

ثم عيَّن من الأمراء الأنجال « جوشكاب » و« بايدو » ، ومن الأمراء « آروق » ليقوموا بالحكم والإمارة فى بغداد وديار بكر ، وأرسل الأميرين هولاجو وگيخاتو لحكم بلاد الروم ، ومنح عمه « آجاى » حكومة گرجستان ، وعهد ببلاد خراسان ومازندران وقومس والرى إلى ابنه « غازان » ، وعيَّن الأمير « كينشو » مساعدا له ، كما عيَّن نوروز أميرا على خراسان . ثم ارتحل من هناك ، وتوجه إلى « سوغورلوق » ، وأصدر مرسوم الوزارة باسم « بوقا » . وفى ٣ من رجب سنة ٦٨٣/١٢٨٤ أمر بأن يُنْثَرَ على رأسه مقدار كبير من الذهب ، بحيث أوشك أن يختفى تحته . والحقُّ أن بوقا كان من بين المغول رجلا كفؤا ذكيا للغاية ، كما كان ذا رأى وتدبير . وقد فوض إليه النظر فى كل كبيرة وصغيرة من مصالح البلاد ، وجعله مطلق التصرف فى كل أمر .

حكاية

حال الصاحب السعيد شمس الدين صاحب الديوان

بعد مقتل أحمد ، و إقامته فى العراق ، وقدومه
إلى حضرة أرغون خان ، وشموله
بالعناية ثم استشهاده

بعد أن قُتل « عليناق » فى خراسان ، وحلّت الهزيمة بأحمد ، ركب الصاحب شمس الدين ناقة ذلولا من نواحى « جاجرم » ، وفر هاربا يصحبه

خادمان أو ثلاثة ، واتجه عن طريق الصحراء نحو إصفهان . فلما اطلع سكان إصفهان على أحوال تقاب الزمان ، أرادوا أن يعتقلوا الصاحب . كذلك تشاور حاكم يزد مع المدعو « تبناى » شحنة إصفهان الذى كان من مؤيدى أرغون ، ولم يذهب قط إلى أحمد ـ بخصوص اعتقال الصاحب فى مدينة إصفهان . ولكن لما لم يكن الأمر قد تحقق ، فإن الشحنة المذكور كان يتباطأ فى تنفيذ ذلك .

فلما علم الصاحب بنية تلك الجماعة ، خرج من المدينة بحجة الزيارة ، وركب الخيول المنتخبة الأصيلة متجها نحو « قم » . فلما بلغها ، نزل بالمشهد الشريف بظاهر المدينة ، واعتكف فى ذلك المزار المقدس . وكان كل واحد من طائفة الأتباع يفكر فى أمره ، فاستقر رأيهم على أن الأصوب أن يسير الصاحب إلى فرضة جزيرة هرموز حيث يدبر أمره . فقال الصاحب : « ليس من المصاحة أن أرحل وأترك أولادى أسرى فى أيدى المغول ، وإنما الصواب هو أن نتوجه إلى الحضرة ، فإن استطعت استرضاء خاطر أرغون خان بواسطة صديقى القديم الأمير بوقا فهو المراد ، وإلا فسأرضى بقضاء الله وأسلم إليه الأمر » . وقد ظل عدة أيام يفكر فى هذا الأمر .

واتفق أن وصل فجأة الملك إمام الدين القزوينى من قِبَل الحضرة متفقدا أحوال الصاحب . ثم قدم من بعده الأتابك « يوسفشاه لور » و « قومارى »

الواحـد بعد الآخر . وقد بشره « قوماري » قائلا : إن أرغون يقول : « حيث إن الله تعـالى شملني برعايته ، ومنحني تاج أبي الطيب الذكر وعرشه ، فإني قد عفوت عن ذنوب كل من أذنب . فإذا بادر صاحب الديوان بالحضور إلينا ، شملناه بعطفنا » .

وقد قابل « قوماري » الصاحب في ساوه ، وارتحـلا بعد يومين .

وفي يوم الجمعة ١٠ من رجب سنة ٦٨٣/١٢٨٤ بلغ موضع « قربان شيره » ، ونزل عند بوقا . ولمـا كانت بينهما مودة سابقة ، فقد فرح الواحد منهما بلقاء الآخر . وفي اليوم التالي اصطحبه إلى حضرة أرغون خان ، ليؤدي فروض الطـاعة . بيد أن أرغون خان لم يأبه به كثيرا ، كما أنه لم يبد غضبـا عليه . وبعد أن عاد إلى منزله ، قصده أصحاب الحاجات ، فـكان الصاحب يقول لهم : « لن أزاول بعد هـذا أي عمل ، سوى النيابة عن الأمير بوقا ، ولا أعرف كيف يكون ذلك أيضا » .

وكان الأمير « علي تمغاچي » قد ذهب إلى تبريز ، واعتقل يحيى ابن الصـاحب وسجنه ، واستولى على ممتلـكات الصـاحب وأمتعته . كذلك اتفق مع فخر الدين المستوفي وحسام الدين الحاجب ــ اللذين كان الصاحب شمس الدين قد احتضنهما ورفع شأنهما ــ على النكاية به ، وذلك بدافع الحسد لجـاهه ، فقالوا لبوقا : « لن يزدهر عملك مع وجود الصاحب ، فإنه عنـدما يسترد نفوذه ، سوف يعاملك كما عامل أرغون آقا وبقية الأمراء » . ثم حثوا

بوقا على الـكيد للصاحب فى حضرة أرغون ، وعينوا « بوقداى ايداچى » لحراسة الصاحب بحجة المحافظة عليه ، حتى لا يشق عليه الدائنون .

وعنـد ما قصدوا مشتى « أران » ، صدر الأمر فى أوجان بأن يتقاضوا من الصـاحب ألفى تومان من الذهب فأرسل الصاحب إلى بوقا يقول : « ليس عنـدى نقود قط ، لأنى ما كنت أدفن الذهب تحت الأرض كالجهال . وكل ما كنت أحصل عليه كنت أدفعه للخزانة . والآن أمتلك من المال ما يدركل يوم ألف دينار » . ثم أرسل إلى بوقامرةأخرىيقول : « أيها الأمير لا تعمل على إيذائى ، ولا تعلم الملك قتل الوزراء ، فإنهم اليوميقتلوننى ، وسرعان مايقتلونك أيضا . فتأكد من ذلك » .

بعد ذلك أرسلوا « دولاداى يارغوچى » و « قدان » لاستجواب الصاحب ، فأنـكر وجود أية نقود معه ، وكان يكرر ذلك الـكلام . وفى أثناء ذلك طلب دواة وقرطاسا ، وصرح بقوله سأسجل الأموال ثم كتب وصيته بخط يده ، وهذا نصها :

« عندما تفاءلت بالقرآن ، جاءت هذه الآية : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائـكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون] فالبارى تعالى بعد أن رفع قدر عبده فى هذه الدنيـا الفانية ، ولم يحرمه غاية من الغايات ، أراد أن يبشره أيضا بالحياة الباقية ، فى هـذه الدنيا الفانية . ولمـا كان الأمر كذلك ، وجب أن نقدم نصيبا من

هـذه البشرى لمولانا محيى الدين ومولانا فخر الدين ، وإخوانى فى الدين : مولانا أفضل الدين ومولانا شمس الدين ومولانا همام الدين والمشايخ الكبار الذين يطول ذكر كل منهم ، ولا يحتمل المقـام ذلك . ألا فليعلموا أننى قد قطعت كل صلة بهـذه الدنيا ، وأنى متخذ طريقى إلى الآخرة ، فليمدونى ، بدعاء الخير لتدوم سعادتى ، وليقرئوا الأبناء ــ حفظهم الله ــ السلام . وقد أودعتهم الله تعالى ، والله لا يضيع ودائعه . لقد وددت أن ألقاهم وأن أبلغهم وصيتى ، ولـكن ليس لتحقيق هـذا من سبيل ، فسوف يكون اللقـاء فى الآخرة » .

« على هؤلاء الشيوخ ألا يتهاونوا فى المحافظة على الأبناء ، وأن يشجعوهم على الدرس والتحصيل ، وألا يَدَعوهم يمارسون عملا مطلقا ، وأن يقنعوا بمـا أعطاهم الله ، وأن يأذنوا للابن أتابك ووالدته خوشك خاتون بالذهاب إلى بلدهما إذا أرادا ذلك ، وأن يعيش نوروز ومسعود مع الوالدة بولغان خاتون ، وأن يدفن كلا الأخوين فى مقبرتنا . وإذا استطاع أهل الخير تعمير خانقاه الشيخ فخر الدين ، فليساعدوهم بكل مافى وسعهم ، ويسيروا أيضا إلى هناك . ثم إن فلانة لم تكن مرتاحة لنا ، فإذا أرادت أن تتزوج ؛ فليعش فرج والوالدة وأتابك بعضهم مع بعضهم » .

« وقد بيَّنْت لزكريا الأملاك الشاهنشاهية البالغ عددها عشرة آلاف . كما بينت له المواضع الأخرى التى مع الأمـير بوقا ، فليعرضوها عليـه ،

كما يعرضوا عليه الأملاك الأخرى ، فإن ردوا إلى الأبناء شيئا فبها ، وإلا فليقنعوا بإرادة الله . ليمن البارئ تعالى علينا بالرحمة ، وعليكم بالبركة » .

« إنى الآن متجه إلى ربى ، فعليهم ألا ينسوا عزيزتى [نصيبه] ، ولتكن لنا السعادة الدائمة فى كل مايحدث» .

« وإذا مَنّوا على أبنائى بشىء من الأملاك ، فليأخذوها ، وليقنعوا بها . وإلى أين تستطيع زوجتى الكبيرة مغادرة تبريز ؟ لتبق هناك أيضا . والسلام على من اتبع الهدى » .

ثم ألقى بهذه الورقة أمام الحراس . فلما قرأوها ، ولم يكن فيها ذكر للأموال ، ضرب به « توقلوقراونا » ـ من قوم الجلاير ـ ضربا كثيرا بالعصا ، فلم يجد ذلك شيئا . وأخيرا صدر الأمر بقتله ، فقتلوه على باب مدينة « أهر » على ضفة النهر ، بعد صلاة العصر من يوم الاثنين ٤ من شعبان سنة ٦٨٣/١٢٨٤ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وفى ذلك الوقت نظم مولانا « نور الدين رصدى » تاريخ وفاته :

نظام ساحة الآفاق ، صاحب الديوان ،

محمد بن محمد دُرّة الدهر اليتيمة .

تجرع شراب السم من كأس السيف الطافح ،

بيد التسليم من الاختيار إلى القهر ،

فى وقت العصر من يوم الاثنين ،

٤ من شعبان سنة ٦٨٣ ، وعلى ضفة نهر «أهر»

بعـد ذلك أرسل « بوقا » الأمير على إلى تبريز للاستيلاء على أملاك الصاحب وأمتعته . وبعد مدة قتلوا ابنه يحيى أيضا فى ميدان تبريز . وسوف يأتى شرح أحول بقية أبنائه كل فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قصـــــة

وصول پولاد جينـگسانگ ، وبقية الرسل من لدن حضرة قوبيلاى قاآن ، ومجىء أوردوقيا من هناك ، وإحضارهم المرسوم بخصوص خانية أرغون خان ، وجلوسه للمرة الثـانيـة على سرير الملك

حينما بلغ أرغون خان قصر المنصورية بأران ، وصل من لدن حضرة قاآن الأمير پولاد جينـگسانگ[1] وعيسى الـكلچى وبقية الرسل . وفى ذلك الشتاء حاكموا لـكزى ، وضربوه مائة عصا . ثم ساروا إلى المصيف فى الربيع ، وعقدوا مجلس الشورى الـكبير (قوريلتاى بزرگ) بموضع «صاين» مابين « سراو » و « اردبيل » . ثم أوفدوا آروق إلى بغداد فى الحادى عشر من

---

(١) انظر جامع التواريخ (تاريخ هولاكوخان) ، الترجمة العربية ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ حاشية ٢ .

رجب سنة ٦٨٤/١٢٨٥ . وبعد ذلك أمضوا الصيف فى « سوقورلوق » .

وفى العشرين من رجب سنة ٦٨٤/١٢٨٥ قدم أرغون إلى تبريز ، ومنها سار إلى مشتى أران . وعندما بلغ المغول أران حاكموا فيها أتابك « آبش خاتون » ، لأن أتباعه كانوا قد قتلوا الأمير عماد العلوى الذى كان قد رحل لتولى حكم فارس بأمر من أرغون ، ثم قتلوا ملك خان الذى كان من أقارب أبش خاتون ، وذلك بعد إدانته ، كذلك ضربوا حكام فارس بالعصا .

وفى السابع والعشرين من ذى الحجة ٦٨٤/١٢٨٦ قدم « أوردوقيا » من لدن حضرة القاآن ، وأحضر المرسوم الذى ينص على أن يكون «أرغون خان » ملكا مكان أبيه ، وعلى أن يلقب بوقا بچينگسانگ . وفى العاشر من صفر سنة ٦٨٥/١٢٨٦ جلس أرغون خان المرة الثانية على سرير الخانية ، وأقيمت المراسم والطقوس المعتادة .

حكاية
مسير الجيش لمحاربة أكراد جبل هكار
ووفاة بلغان خاتون ، وقضية الخواجه هارون

فى العشرين من صفر سنة ٦٨٥/١٢٨٦ صدرت الأوامر بأن يسير الأمراء مازوق القوشچى ونورين آقا وغازان أخو أشك توغلى من الجلائريين ، مع ستة عشر ألف فارس إلى ناحية جبال هكار بكردستان ؛ فقتلوا بعض

الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويثيرون الفتن . وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة ٦٨٥/١٢٨٦ توفيت بلغان خاتون على ضفاف نهر « كر » ، وحُمِل نعشها إلى جبل سجاس .

وفى الربيع قدم أرغون خان إلى تبريز ، فأقام له بوقا چينگسانگ حفلا ، وقدم له الهدايا اللائقة ، ثم غادرها فى يوم الجمعة الثانى عشر من ربيع الثانى ، وسار عن طريق مراغة إلى ناحيـة « سوغورلوق » .

وفى خلال ذلك الصيف وفد على الحضرة ببغداد الأمير آروق مع طائفة الكتاب ، وكان فى صحبته الخواجه هارون بن الصاحب شمس الدين . ولتهور « آروق » ولاعتماده على نفوذ أخيه « بوقا » قتل مجد الدين بن الأثير وسعد الدين أخا فخر الدين المستوفى ، وعلى جكيبان دون إذن الملك . ولما كان مجد الدين بن الأثير من خاصة گيخاتو ، فقد امتعض من آروق لذلك السبب ، وصار يعمل على النكاية به ، وصار ييسو بوقا كوركان أيضا طرفا آخر لتلك النكاية . إلا أن بوقا كان يحمى أخاه بسبب ما كان له من نفوذ . ثم أخبر جماعة گيخاتو أن « آروق » إنما أقدم على هـذا الأمر بإشارة من هارون . وكان گيخاتو يسير فى ذلك الوقت قاصدا الروم ، فاصطحب معه هارون وقتله فى « الاتاغ » . وقد توفى ييسو بوقا كوركان فى تلك الأيام ، فهدأت تلك الفتنة .

وفى الخريف قدم أرغون إلى تبريز ، فبلغها فى يوم الجمعة السادس من

شعبان سنة ١٢٨٦/٦٨٥ ثم توجه إلى أران فى يوم الخميس الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٦/٦٨٥ وذات يوم كان يمشط شعره ، فنزل منه شعر كثير مع المشط . فقال : إن هذا من أثر السم الذى دسه لى وجيه بن عز الدين طاهر ، فغضب لهـذا ، وأمر بقتله فى عشرين من ذى القعدة سنة ١٢٨٧/٦٨٥ .

وفى الخامس من ذى الحجة اصطحب أرغون خان « تودای خاتون » ، وأحلها محل « مِرْتای خاتون » . ثم جاء إلى بيلسوار فى التاسع عشر من صفر سنة ١٢٨٦/٦٨٥ ، وقدم إلى تبريز فى الرابع والعشرين من ربيع الثانى من تلك السنة . وفى الصيف سار إلى الاتاغ ثم عاد منها . وفى الثانى من رمضان سنة ١٢٨٧/٦٨٦ قصد مشتى أران .

وفى ١٥ من المحرم سنة ١٢٨٨/٦٨٧ قدم الرسل من خراسان من قبل كينشو ونوروز وأخبروا أرغون أن ثلاثين ألفا من الفرسان من جند قايدو ومقدمهم بيسور نويان قد عبروا البنجاب ، ونهبوا جهات بلخ ومرو ونواحى شبورغان ، وبلغوا خواف وسنكان . وفى السابع من صفر من تلك السنة توفيت « قتلغ خاتون » بنت تنككيز كوركان من قوم الأويرات ، وكانت أمًّا للأمير ختاى اغول .

وفى السابع من ربيع الأول وصل الرسل من قبل اولوس (قبيلة) نوقا إلى شاطئ نهر « نو » ، وأحضروا معهم ما يسمى « شاريل » . ويقال

عند البوذيين إنه حين أحرق جثمان « شكمونى برخان » ،لم يحترق منه عظم شفاف يشبه الخرزة قريبا من قلبـه ، يسمونه « شاريل » . وفى زعمهم أن كل من يبلغ مرتبة كبيرة مثـل شكمونى برخان ، لا تحترق خرزته المسماة « شاريل » عندما يحرقون جثمانه . وقصارى القول أنهم عندما أحضروا تلك الخرزة ، رحب بهـا أرغون خان ، ونثر عليها المغول الذهب ، وعبروا عن ابتهاجهم ، وعمدوا إلى اللهو والأنس والمتعة عدة أيام .

ولما رحل أرغون إلى بيلسوار فى سلخ ربيع الأول وصل خبر ينبئ بأن تماى توقتاى المرتد ، قد مرّ مع خمسة آلاف فارس من موضع « دربند » ، ونهب جميع الشركاء والتجار ؛ فتحرك أرغون لصـدهم فى يوم السبت غرة ربيع الثانى سنة ٦٨٧/١٢٨٨ ، وعبر نهر « كر » . وفى الخامس من الشهر المذكور بلغ شماخى ، وانتظر عنـد ربوة . ثم أوفد بوقا وقنجغبال مع بعض الأمراء إلى منـكقلاى ، فعادوا بعـد أربعة أيام أو خمسة ، وبشروا أرغون بأن الأعداء قد تراجعوا وغادروا دربند .

حـــكاية

ابتـــداء شهرة سعـــد الدولة التى ظهرت بسبب توفير أموال بغـــــداد

فى سنة ٦٨٣/١٢٨٤ عين تونسكا شحنة لبغداد . فلما بلغها اختـار سعد الدولة بن هبة الله بن مهذب الدولة الأبهرى ، والذى كان كفؤا ثريا ،

وخبيرا بشئون بغداد ـ كبيرها وصغيرها ـ ليكون نائبا عنه وحاجبا له . ومع أنه لم يكن أمامه وظيفة أخرى ، فإنه صار الحاكم بأمره بسبب كفايته ومقدرته و إحاطته بالأمور .

فى ذلك الوقت كانت الحكومة فى بغداد فى يد المدعو « غتلغ شاه » ابن أحد عبيد علاء الدين صاحب الديوان ، وفى يد أتباعه من قبيل مجدالدين الكتبى . ومع هذا لم يبق لهؤلاء أى نفوذ مع وجود سعد الدولة . وفى سنة ١٢٨٧/٦٨٦ جاءوا إلى الحضرة فى مصيف « سغورلوق » ، وشكوه كثيرا إلى الأمراء والوزراء . ثم قالوا لجوشى وقوجان وطائفة الرماة : « إن سعد الدولة طبيب منقطع النظير ،و يليق بأن يكون ملازما للحضرة » . فلما عرضوا تلك القضية على السلطان ، صدر فرمان يقضى بأن يبقى سعد الدولة ملازما للحضرة ، ولا يرحل إلى بغداد فى الخريف والشتاء من تلك السنة .

ولما أدرك سعدالدولة أن أردوقيا رجل مقتدر للغاية ، وطد معه أساس المودة ، وأخبره أن أموال بغداد وافرة جدا . « فلو تسلمت زمام الحكومة هناك ، فسأعمل لصالحك ، وسوف نوفى أموال الخزانة بصورة أحسن من الآخرين ، وسيكون هناك وفر لخاصة الأمير . كما أننا سنحصل من عمال بغداد المبالغ المتأخرة التى لا تحصى » .

فلما عرض أردوقيا الأمر على أرغون ، سأل سعد الدولة : « كم تكون هذه الأموال المتأخرة فى بغداد ؟ » . فأجاب : « خمسمائة تومان » . فاستحسن

الملك كفاءته و بيانه ، وشمل أردوقيا وسعد الدولة بعطفه ، وأوفد سعد الدولة مع المرسوم والپايزه لجمع المبالغ المتأخرة وتحصيل أموال الخزانة . فذهب إليها مع أردوقيا ، وحصّلا أموالا وافرة بضرب العصا والتعذيب . ثم لحقا بالحضرة فى موضع قونقور اولانـكك ، وعرضا على أرغون الأموال ، فأعجب الملك إعجابا شديدا .

وفى الرابع من جمادى الأولى سنة ٦٨٧/١٢٨٨ منح « أرغون » الأمير اوردوقيا إمارة بغداد . ولما كان «تونسكا» قد توفى ، فإن «بايدوسكورچى» قد عُيِّنَ شحنة لبغداد . كما اختير شرف الدين السمنانى للأموال ، وسعد الدولة للإشراف عليهما ، وساروا جميعا إلى بغداد ، وقاموا بتلك المهام .

وفى تلك الأيام أيضاً ، تعطف أرغون بإنعامه على الأمير قنجغبال ، ومنحه المنصب الذى كان يتولاه جدُّه « ابتاى نويان » أى إمارة قلب الجيش .

حكاية

أحوال بوقا وكيد الأمراء الحاسدين له

وانتصارهم عليـــــه ثم قتله

بعد أن استشهد الصاحب السعيد شمس الدين ، ارتفع شأن بوقا ارتفاعا عظيما ، وحَصَل على أموال وافرة فى أمد قصير ، وتجاوز حدَّه لفرط غروره

بالمال والجاه ؛ فكان ينظر بعين الازدراء والاحتقار إلى خواص الأمير أرغون: طغاجار وقونجقبال ودولاداى إيداجى وسلطان إيداجى وطغان وجوشى واوردوقيا ، الذين كانوا مقربين إلى الحضرة ، فكانوا متأثرين منه لهذا السبب ، وأصبحوا يحقدون عليه ولا سيما سلطان إيداجى وطغان وكانا يتبادلان الحديث دائما عن غروره وكبريائه ، وكانا يبلغان ذلك إلى مسامع الملك المباركة . لكنه لم يكن يأبه بذلك كثيرا مراعاة لحق بوقا عليه .

وكان طغان مولعا بالإيقاع ببوقا والانتقام منه ، لأنه ضرب بأمره مرتين بالعصا ، وسمع منه السباب والشتائم ، فكان شديد التأثر منه .

وصفوة القول أن الطائفة المذكورة كانت تعرض أحواله على أرغون بصورة قبيحة شنيعة .

وكان آروق من جهة أخرى يعيش فى بغداد لا على طريقة الأمراء ، بل على نحو ما يعيش الملوك ، ولم يكن يحترم رسل أرغون ، ولم يكن يرسل أموال بغداد إلى الخزانة . ولما كان اوردوقيا وسعد الدولة قد حصلا فى دفعة واحدة خمسمائة تومان من المال بشتى الطرق ، فقد تأكد أرغون أن آروق ينهب ذلك المقدار كل سنة . ولكن لم يبد عليه أثر لذلك ، بيد أنه أوفد الطائفة المكونة من أوردوقيا وملك شرف الدين وسعد الدولة للإمارة والحكم والإشراف ، وعزل آروق .

كذلك قام ضده من قبل طغاجار نائبه صدر الدين الزنجانى ، لأن بوقا كان يطالبه ببقايا أموال إقليم فارس فقال صدر الدين لطغاجار : « إن بوقا يمهد الملك لنفسه ؛ إذ أنه يفعل كل ما يشاء ، دون إذن من الملك ومشورة من الأمراء ، وينفق الأموال وفق هواه ، ولا يعتبر الناس أن أرغون هو الملك ، بل يعترف الجميع ببوقا وحده . وقد وصل الأمر إلى حد أن الأمير على والى تبريز كان لا يلتفت إلى أى رسول يفد على تبريز ومعه الفرمان والپايزه ، مالم يكن يحمل بصمة خاتم بوقا الأحمر ؛ وإلا عاد بخفى حنين » .

ولما كانت أمثال هذه الأقوال تبلغ مسامع أرغون خان ، فقد سخط على بوقا ، حتى أصبح يَمَلُّ حضوره . وفى أثناء ذلك مرض بوقا ، فوجه هؤلاء الأمراء همتهم للقضاء عليه . فلما أبل من مرضه ، شمله أرغون بعطفه كما كان يفعل معه ، وأرسله لمباشرة أعماله . لكنه أسند حكومة الولايات الخاصة التى كانت بعهدته إلى الأمير طغاجار ، وإمارة الجند إلى قونجقبال الذى كان فى خدمة جده . فتأثر بوقا لذلك ، وأخذ يقلل من التردد على المعسكر . وكان كل شخص يتردد عليه يتهم بمؤازرته . ولهذا أخذ الناس — باستثناء طائفة من أمراء المغول — يتجنبون مصاحبته . ثم مرض مرة أخرى . ولأنه لم تعدله المنزلة السابقة فى نظر الناس لم يكن يتردد عليهم بحجة المرض ، فأبلغوا أرغون أن بوقا يدعى المرض ، فصدر الأمر بنقل

الديوان والسجلات من داره ، وعزل نوابه وأتباعه عن الأعمال الديوانية ، وفى مقدمتهم الأمير « على تمغاچى » حاكم تبريز .

وهكذا بدأ شأن بوقا فى الانهيار ، وتطرق الخلل إلى حاله ، وقدم من ورائه جباة (ايقاقان) فارس ، فأحصوا مائة وخمسين تومانا من المال فى عهدة حسام الدين القزوينى الذى كان قد رحل إلى هناك نائبا لبوقا . وكانت تصل تباعا أنواع من الشكاوى ضد « آروق » من ديار بكر ونواحيها ، فسقط بوقا من نظر أرغون نهائيا . وعندما رأى أن الأمر سوف يخرج من يده ، ويئس يأسا تاما ، أنفق أموالا طائلة ، واستمال طائفة من الأمراء ، وضمهم إلى جانبه ضد أرغون خان ، وهؤلاء من قبيل أخيه آروق وقورمشى ابن هندو نويان الذى كان قائدا لعشرة آلاف جندى ، والأمير أوجان الذى كان من أمراء الذخيرة ، وقدان ايلچى وزنكى بن نايا نويان ، وقائد معسكر اولجاى خاتون ، ومايجو مقدم الألف جندى ، وطائفة أخرى من أتباعه مثل : غازان بهادر وايشك توقلى الذى كان قائدا لأربعة آلاف جندى ، وأخيه اشاك توقلى وتغاوق قراونا قائد الألف ، وهذه الجماعة كلها من الجلائريين . وكذلك بايان ومكر يتاى بن الغو البيتكچى وجريك البيتكچى وغيرهم من أتباعه ومؤيديه ممن يطول ذكرهم جميعا .

ويروى أنه لما كان بوقا يعرف أنه يمكن خلع أرغون خان على يد أحد الأمراء الأنجال ، وكان يدعى جوشكاب ويقيم على ضفاف الفرات فإنه أرسل إليه رسولا يقول له :

« إن أرغون خان قد انقلب عليّ بتأثير وشايات طغاجار وسلطان ايداجي وطغان وغيرهم من الحاسدين لى ، ونسى حقوقى عليه . وقد ثبت لديك ولدى جميع الأمراء وجملة الرعايا أنه قد ارتقى بجهودى عرش أبيه . والآن رفع جماعة آخرين من خصومى وجعلهم موضعاً لأسراره . وأنت بحمد الله من أرومة هولاكوخان ، ولك إقبال الملك . ولا يمكن تنفيذ هذا الأمر إلا بمعونتك . فإذا تقبلت كلامى ، وقمت بهذه المهمة ، فسوف أضحى بحياتى فى خدمتك ، وأستخلص لك العرش والتاج ؛ ذلك لأن جمعاً كبيراً من الأمراء والجنود متفقون معى فى هذا الأمر » .

فلما وصلت تلك الرسالة إلى جوشكاب ، تعجب وقال : « سبحان الله ! إن هذا الرجل قد زال عقله ، وصار مجنونا . فمن الذى يختار ملكا آخر غير أرغون ، وماذا يريد أكثر مما بلغ ؟ لا شك أنه يطمع هو الآخر فى العرش ، ويريد أن يخدعنى بغرور الملك والسلطان . وقد لعب هذه المكيدة مع أحمد ، ولا بد وأنه يريد نكث العهد معى » .

ثم قال للرسول : عد وأبلغ سلامى إلى بوقا ، وقل له : « إن مافكرت فيه بشأنى حسن جدا ، لكن قلبي لا يستطيع الاعتماد على وعدك . فلو صح ماتقول ، فدوّن اسمك وأسماء الجماعة المتفقين معك فى هذه القضية ؛ وأرسل هذه الوثيقة حتى أطمئن كل الاطمئنان » .

فكتب جميع الأمراء الذين تشاوروا فى هذا الأمر وثيقة بذلك ؛

وأرسلوها . فلمـا شاهد جوشـكاب تلك الورقه خاف على نفسه ؛ فأرسل إلى « بوقا » مرة ثانية يقول : « إذا لم تفتر عزيمتك فيجب أن تتأهب للأمر ، فإنى أعد الجيش ، وأصل إليك فى تلك الليلة المعينة ، فـكن فى انتظارى » .

بعد ذلك أراد «جوشكاب» بأن يعرض تلك الحالة على أرغون خان بأسرع ما يمكن حتى لا يؤول إليه شر من وراء ذلك ، وسار على هـذا التصميم . وفى تلك الليـلة سلح بوقا جمـاعة من الجنود وسـيرهم ، ووقف منتظرا وصول جوشكاب ، إلا أنه هو نفسه لم يصل فى تلك الليلة . وفى الصبـاح أخـبر « سلطان ايداجى » أرغون خان أنه قد شوهد هذه الليلة جمع من الفرسان المسلحين . وعلى الفور وصل الأمـير جوشـكاب ، ودخل البلاط بسهولة ، فشمله أرغون خان بعطفه ، وابتهج بوصوله ابتهاجاً شديداً .

وعندما اجتمع الأمراء ، عرض جوشكاب حقيقة الحال لمؤامرة بوقا ، فقـال أرغون خان : « إن ثقتى ببوقا كانت قوية حتى إنى لم أستطع بمرور الأيام أن أصـدق تماماً ما يقوله عنه كل النـاس . ولـكن بأى دليل كنت أستطيع أن أزيح الستار عن حقيقة أمره ؟ » . فأبرز جوشكاب الوثائق التى كان قد أرسلها إليه بوقا ومن يؤيده من الأمراء ، وعرضها عليه .

فلما رأى أرغون خان تلك الأوراق ، تأججت نار غضبه وقال : « لقد قدمت بوقا على سـائر الأمراء ، ووضعت البـلاد تحت إمرته ، وعهـدت

إليه بالإشراف على شئون الرعية والجيش إلى أن مكر بى وكاد لى » .

وفى تلك الليلة نفسها أمر بأن تتحرك الجيوش للقبض على بوقا ، فأحدقوا بدوره الواقعة على ضفاف نهر « كر » . وفى الصباح المبكر داهم داره سلطان ايداجى ودولاداى وطغان ، فلم يجدوه ، لأنه كان قد علم بذلك ، فعبر نهر كر فى إحدى السفن ، والتجأ إلى دار أولجاى خاتون ، فلم تقبله ، فلما رجع أخفاه فى داره الأمير « زنگى بن نيه » قائد معسكر أولجاى خاتون .

فلما سمع دولاداى وطغان أن بوقا قد عبر النهر ليلا ، هاجما ديار اولجاى خاتون ، فخاف الأمير زنگى خوفا شديدا ، وتقدم وهو يرتجف ، فسألاه عن بوقا . فأجاب بأنه جالس فى هذه الخيمة ، فقبضا عليه فى الحال ، وأحضراه إلى حضرة أرغون خان . فقال له شيكتور : « ماهذه الفتن والاضطرابات التى أثرتها ؟ كأنك تريد كل يوم أن تقيم ملكا جديداً ؟ » . فأجاب : ليس بينى و بين الملك شىء قط ، اللهم إلا مع سلطان ايداجى وطغان القهستانى وهما خصمان لى ، فأقدمت على صدهما » . فأبرز جوشكاب خطوطه وخطوط أتباعه ، فارتعدت فرائصه ، وارتج عليه .

وعلى الفور أمر أرغون بالقضاء عليه ، فأخذوا يسحبونه إلى الخارج . وقد التمس جوشكاب أن يقضى عليه بنفسه . فلما بلغ موضع الإعدام ، ركله طغان ركلة على صدره وقال له : « كنت تحلم بالعرش والملك ، فهذا جزاؤك » ،

ثم أطاح جوشكاب برأسه بضربة واحدة . وبعد أن سلخ جوشكاب بيده قسما من جلد ظهره ، وبعد أن حشوا جلد رأسه تبناً ، علقوه تحت قنطرة جغان على مفترق طرق السوق الأربعة ليكون عظة وعبرة .

وفى يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٨٧/١٢٨٨ واليوم الذى يليه ، شرعوا فى إجراء التحقيقات ، وقتلوا بعض الأمراء الذين كانوا قد اتفقوا مع بوقا ، ممن سبق ذكرهم ، ونجا « قدان » إذ كان رسولا من لدن القاآن . كما نجا بايان البيتكچى ، إذ أنه قرر الحقيقة ، وعفوا عن مكريتاى بشفاعة الأمراء ، وقتلوا من غير أمراء المغول : الأمير على تمغاچى . وحسام الدين القزوينى ، وعماد الدين المنجم ، وشمعون المعروف بروم القلعة ، وبهاء الدولة أبا الكرم النصرانى .

وفى اليوم الذى اعتقل فيه بوقا ، أرسلوا إلى ديار بكر « ايتمش القوشچى » و « تاموداى الاقتاچى » و « شادى بن بوقو » مع خمسمائة من الفرسان للقبض على آروق وأتباعه ، فوصلوا من أران إلى أردبيل فى ستة أيام حيث قتلوا نجل بوقا الأكبر المسمى « غازان » ، والذى كان مقيما مع آروق . ثم قبضوا على « آروق » فى قلعة « كشاف » وأحضروه . ولما بلغ حافة قنطرة « جغان » ورأى رأس بوقا معلقاً قال : « أين رأس أوجان أمير سليح الذى كان خادماً له ؟ » :

وفى التاسع والعشرين من المحرم سنة ٦٨٨/١٢٨٩ قتلوا آروق وأوجان

كذلك . وعنـد ما حل دور الأمـير زنـكى ، قال أرغون خان : « لكن جزاؤه على يد اولجاى خاتون » . فبعثوا به إليها . فأمرت اولجاى خاتون بقطع رأسه وقالت : « لو كان نجلى انبارجى فى مكان زنـكى لاقتصصت منه هذا القصاص» . وكان آباجى بن بوقا ـ بعد مقتل والده ـ ملازماً لطغان ، وكان طغان يتولى حمايته ، ويريد أن ينقذه . لـكنه تعجل ذلك ، وعرض أمره على أرغون قائلا : « ليأذن الملك بحضور آباجى ويشمله بعطفه » . ولـكن الملك كان لا يزال غاضباً ، فأمر باستئصال ذرية بوقا ، فقضوا على آباجى وجميع إخوته : ملك وترخان تيمور وقتلغتيمور .

حـــكاية

أحوال جوشكاب وهلاكه ، وحبس الأمراء

الذين كانوا قد اتهموا بتأييد نوروز

بعد مقتل بوقا وآروق ، والانتهـاء من تلك التحقيقـات فى أواخر صفر سنه ٦٨٨/١٢٨٩ ، شمل أرغون خان الأمير «جوشكاب » بعطفه ثم أعاده . ولـكنه علم بعد ذلك أن جوشكاب غير مخلص له ، فأرسل فى أثره جمعاً من الأمراء لـكى يعيدوه ، إذ كان قد عزم على الرحيل إلى ديار الشام ، فأدركه «أرقسون نويان » و « ايتمش القوشچى» و« عر بتاى كوركان» و «بورجو

ابن دور باى » و « بوغداى » على ضفاف نهر قرمان بين ارزن وميافارقين ، فقاتلهم وفر هاربا . ولكنهم قبضوا عليه بعد ثلاثة أيام ، وأحضروه إلى أرغون خان ، فبلغ الحضرة فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٦٨٨/١٢٨٩ فسقوه كأس المنون .

ولما كان نوروز بن أرغون آقا قد تمرد فى خراسان ، وكان الأميران « هولاجو » و « قرا نوقاى بن يشموت » قد اتهما بتأييدهما له ، فقد قبض عليهما فى الثامن من جمادى الأولى من السنة المذكورة بتأثير « اوردوقيا » ، الذى كان من أتباع « قرانوقاى » ، و بعثوا بهما إلى قلعة گردكوه ، ثم قضوا عليهما نهائياً فى عشرين من رمضان فى موضع دامغان .

وفى الثامن والعشرين من ذلك الشهر سيّر « طوغان » بجيش لإمداد الأمير غازان الذى كان قد تحرك إلى ناحية خراسان لصد نوروز .

حكاية

استشهاد المرحوم ملك جلال الدين السمنانى ، وارتفاع شأن سعد الدولة لذلك السبب

وفى هذه السنة نفسها حينما رجع أرغون خان من مشتى « أران »، ونزل فى مصيف « قونقور أولانگ » ، وعاد كذلك أوردوقيا وسعد الدولة من بغداد ، وأحضرا للمرة الثانية أموالا طائلة ، فرحب أرغون خان بذلك ترحيباً

شديدا . وقال سعد الدولة فى حضرته : « لو لم يكن الـكتّاب يمنعوننا ، لكان هذا المال أضعافا مضاعفة » . فصدر الأمر بمجازاة تلك الطائفة ، فقتلوا ربيب الآوجى وقتلغشاه ، وأرسلوا رأسيهما إلى بغداد، ثم جىء من الحلة بمجد الدين ابن الـكبتى وبمنصور بن الخواجه علاء الدين ، وقتـلوهما على باب « دار شاطنه » .

وكان جلال الدين السمنانى قد اتهم أيضـا ــ بدسيسة من طغان ــ بالاشتراك فى فتنة بوقا ، لـكنه نجا من القتل بشفاعة « برنده بخشى » . غير أنه لم يجرؤ على مقابلة الملك مدة طويلة .

وفى أوائل جمادى الآخرة سنة ٦٨٨/١٢٨٩ فى مصيف سغورلوق ، أسند أرغون خان إلى سعد الدولة منصب الوزارة . وكان «شرف الدين السمنانى» أخو ملك جلال الدين مسجوناً بسبب ما كان فى عهدته من بقايا أموال بغداد ، فذهب ملك لمقابلة أخيه فى صبيحة أحد الأيام ، والتقى فى الطريق بالأمير «بولاد آقا» فصار يستفسر بحرارة عن أحواله ، ويسأله عن أسباب عزلته ، فقال ملك : «ليس لى ذنب ، فإن الملك قد قدّم علىّ رجلا يهودياً ، يقوم بتأييده وحمايته» . فأبلغ الملك ذلك الـكلام على الفور . ولما استفسر عن الحقيقة من بولاد آقا، ذكر القصة كما وقعت . فقال الملك : «إن الذنب ذنبى، إذ أننى أبقيته حياً» . وأمر « تـكجك » الذى كان فى الحرس ــ بالمسير إليه وقتله ، فقتله فى الثامن عشر من رجب سنة ٦٨٨/١٢٨٩ فى سراى المظفرية بموضع سياه كوه .

وبعد أن قضى عليه ، ارتفع شأن سعد الدولة ، وقوى مركزه للغاية، وكان جاهه يسمو يوماً بعد يوم . وحدث أن محموداً وعلياً ولدى الخواجه بهاء الدين محمد بن صاحب الديوان عرضاً على الملك اختلال أحوالهما ، فصدر الأمر بأن يُرَدَّ إليهما بعض أملاك الصاحب فى العراق . وقد سار « على » مع والدته بنت عز الدين طاهر إلى أصفهان لهـذا الغرض . ثم حضر « مجد الدين مومنان القزوينى » الذى كان يتولى الإشراف على شئون الأملاك الخاصة فى العراق ، وعرض على أرغون قائلا : « حيث إن نجْلَى الصاحب قداستوليا على كل بقعة عامرة من الأملاك الخاصة ، فقد تدهورت بسبب ذلك عوائد هذه الأملاك فى العراق دفعة واحدة » .

فامتعض أرغون خان من ذلك ، وأمر بالقضاء على جميع أبناء صاحب الديوان شمس الدين . فاستشهد فى تبريز فى الثالث من رجب مسعود وفرج الله، وتشفع بنديد بخشى وناردو الشحنة لمحمود ؛ بحجـة أنه قد نصَّ فى الفرمان على أبناء الصاحب على حين أن محموداً من الأحفاد . لـكنه ابتلى بمرض الخفقان بسبب الخوف ، وتوفى فى آخر عهد كيخاتو . وقد أوعزوا إلى « بيسودر » الذى كان قد أُرسل لاعتقال أتابك يزيد بأن يقضى على علىّ فى إصفهان ، فأوفد خادماً من كاشان فاعتقل عليًّا وقتله ، فصار موضع مقتله ومدفنه مزارين معظمين .

و بعد ستة عشر يوماً ، قتل « بيسودر » أيضا فى يزد . وهكذا لم يبق

أحد حياً من أبناء الصاحب باستثناء زكريا إذ كان فى « أبخاز » فنجا من تلك المحنة ، وهلك الباقون جميعا .

ولهذا ارتفع شأن سعد الدولة ارتفاعاً عظيماً . وفى بغداد نقلوا الحراسة من دار الخلافة إلى داره . وفى السابع من شعبان سنة ٦٨٨/١٢٨٩ أرسل أخاه فخر الدولة ومهذب الدولة وجمال الدين الدستجردانى لحكم بغداد ، وأعطى شمس الدولة بن منتجب الدولة إيالة فارس ، وعهد بديار بكر إلى أخ آخر له هو أمين الدولة ، ووكل مهمة الإشراف على تبريز إلى ابن عمه مهذب الدولة أبى منصور الطبيب .

ولكنه مع هذا كان دائما يتوجس خيفة من كبار الأمراء « شيكتور نويان » و « طغاجار » و « سماغار » و « قونجقبال » وغيرهم ، فكان يبغى من باب الحزم والاحتياط أن يكون له شريك يستند إليه ، فتكلم فى هذا الشأن فى حضرة أرغون خان قائلا : « إننى لا أستطيع القيام بمفردى بجميع المهامّ ، وأحتاج إلى عدد من المرؤوسين المخلصين القانعين ، حتى يعرضوا علىّ فى كل ليلة مايجرى من التدبير والتقصير ، وما يحدث من الوقائع فى كل يوم». فاختار «أوردوقيا» مساعدا له ، واختصه لنفسه ، وأسند إلى «جوشى» الإمارة فى شيراز . كما فوّض إلى « قوجان » الحكم فى تبريز ، فصار ثلاثتهم أتباعه وأعوانه .

وقد رتب سعد الدولة الأمور بحيث لم يكن فى استطاعة أى مخلوق أن

يقصد دار أمير من الأمراء قط سوى هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عمالا له .

وفى تلك السنة ذهب الأمير « جوشى » و « سار بان بن سونجاق آقا » من أجل الإمارة والجباية فى فارس ، وعادا فى السنة التالية . وقد تعهد جلال الدين السنزوستانى قائلا : « سوف أدفع مائة تومان زيادة على عوائدشيراز » ، بيد أن أمراء الفرق والكتّاب هنالك تعهدوا بأن يدفعوا خمسمائة تومان على شرط أن يُقَيَّدَ جلال الدين ، ويسلم لهم ، فقُيِّد وأرسل إليهم . وقد عاد الأميران جوشى وساربان للقيام بتلك المهمة . فلما بلغا فارس ، بذلا جهوداً كبيرة ، ولكنهما لم يحصلا على شىء .

ولما لم يستطع رؤساء الفرق والكتاب الوفاء بعهدهم ، فقد صدر الأمر بقتلهم ، وإطلاق سراح جلال الدين ، فقتل شمس الدين حسين العلكانى وابنه نظام الدين أبو بكر الوزير وسيف الدين يوسف ومجد الدين الرومى وفخر الدين مباركشاه فى موضع « كوشك زر » من نواحى شيراز .

وأما سعد الدولة فقد كان رجلا ماهراً فى تدبير شئون الديوان وضبط الأموال ، ولم يدخر قط وسعاً فى السعى والاجتهاد ، ولم يهمل شاردة ولا واردة فى تلك الشئون .

حكاية

توجه أرغون خان إلى ناحية مشتى أران .
ووصول الأعداء من ناحية
دربند وهزيمتهم

فى الرابع من رمضان سنة ٦٨٨/١٢٨٩ نزل أرغون خان فى مدينة مراغه ، وذهب لمشاهدة المرصد ، وهناك شرع فى تناول الدواء الأسود الذى سوف يأتى ذكره ، وقصد مشتى « ارّان » . وفى يوم الأربعاء التاسع من ربيع الأول سنة ٦٨٩/١٢٩٠ الموافق ٢ من ايكندى سنة پارس ، تزوج من بولغان خاتون بنت اوتمان بن اباتاى نويان ، وأحلها دار بلغان خاتون .

وفى الثالث والعشرين من ربيع الأول قدم الرسل ، وأبلغوا أرغون نبأ وصول جنود الأعداء من ناحية دربند ،فصدر الأمر بأن يزحف «توكال» و « شيكتور نويان » و « قونجقبال » بقوات الجيش لقتالهم . وفى الخامس عشر من ذلك الشهر سار من ورائهم طغاجار والأمراء الآخرون . وكانت أخبار تمرّد الأعداء تصل تباعاً .

وفى غرة ربيع الثانى تحرك الملك من بيلسوار ، وسار حتى بلغ ربوة

« تو يناق » فيما وراء شابران . وفى الخامس عشر بلغ شابران عنـد مكان الأحمال . وفى السابع عشر من ذلك الشهر تلاقى بمقدمة الجيش على ضفاف « قراسو » مما يلى دربند . وكان فى جانب العدو « إياجى » و « منـكلى بوقا بن منـكـكوتيمور » و « يكيجـه » و « توقتاى المرتد » مع عشرة آلاف من الجنود ، على حين أنه كان فى هـذا الجانب « طغـاجار » و « قونجقبال » و « طغريلجه » و « طايجو بن بوقو » أمير كتيبة قونجقبال ، فاندفع طغريلجه وطايجو نحو النهر ليعبراه ، فحلت الهزيمة بجيش العدو لمشاهدة تلك الجرأة وذلك الاندفاع ، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس ، وأسر نفر منهم ، وكان من جملة القتلى « بورولتاى » والمدعو « قداى » من أمراء الـكتائب . كما كان من بينهم أخو « يكيجه » . وكان من جملة الأسرى « جريـكتاى » الذى كان أميراً كبيراً من أمراء « توقتا » .

وهكذا عاد أرغون من تلك الناحية مظفراً منصوراً . وفى العشرين من ربيع الثـانى بلغ « بيلسوار » ، وحلّ بالمعسكرات حيث أمضى عدة أيام مع جنوده فى إقامة الحفلات والتمتع باللهو والطرب والولائم . وقدأرسل سعد الدولة أخبار ذلك الفتح إلى الأطراف على يد المبشرين .

حكاية

مسير طغاجار لإمداد جيش خراسان ، وتشييد مدينة الأرغونية بموضع شام تبريز

فى أواخر ربيع الثانى ، وصلت أخبار من خراسان ، عن تمرد الجنود وزحفهم ، فسار طغاجار لصدهم . وفى ذلك الأسبوع أيضاً ، أرسلوا الخواجة نجيب الدولة إلى خراسان لخدمة طغان ، وحتى يوزعا أموال تلك الناحية على الجند . وفى السابع من جمادى الأولى أبلغ نبأ نعى الأمير ييسوتيمور إلى أبيه أرغون خان . كما توفى قبل ذلك فى مراغه « سونجاق آقا » وابنه شادى .

وفى أواخر رجب وصلت الرايات المباركة إلى تبريز ، وفى الثانى من شعبان أُعدم مجد الدين مومنان القزوينى . ثم توجهت الرّايات الملكية إلى مصيف آلاتاغ ، ووصلت إلى هناك فى الثالث عشر منه ، ثم عادت عن طريق « وان » و « وسطان » . وفى تلك المرحلة وفد على الحضرة مولانا قطب الدين الشيرازى ، وعرض على السلطان صورة بحر المغرب والخلجان وسواحلها المشتملة على كثير من الولايات الغربية والشمالية ، فأعجب الملك أيّما إعجاب بمحادثته ، إذ أنه كان يشرح أحوال ولايات الروم . وفى أثناء ذلك وقع نظر

الملك على موضع «عمُّورية» الداخلة فى الروم ، فأشار على مولانا بأن يصفها له ، فذكر عبارة بليغة مشتملة على الدعاء والثناء على الملك ، ووصف تلك المدينة ، فوقع ذلك منه موقع القبول .

ثم سار للصيد قائلا لمولانا : عندما أعود تعال لنتحدث فى الموضوع ، فإنك تتحدث حديثاً عذباً للغاية . ثم أشار على سعد الدولة باستدعاء الرجال الثلاثة يعنى : الأمير شاه وفخر الدين المستوفى وابن حاجى ليلى ، إذ أنهم كانوا قد قبضوا على هؤلاء الثلاثة وأحضروهم . وقد عاتب مولانا قطب الدين سعد الدولة بشأن الأمير شاه ، وجرى خلف الملك وأنقذه . ولكنهم قتلوا ابن حاجى ليلى ، ووضعوا فخر الدين تحت الحراسة ثم قتلوه بعد أسبوع .

وفى الثالث والعشرين من رمضان سنة ٦٨٩/١٢٩٠ قدم من الروم آقبوقا ودولاداى والجى وقبان ، ثم عاد إليها آقبوقا فى الخامس من شوال . وعندما بلغ أرغون خان تبريز ، كان قد حل عيد الفطر ، فأقاموا فى تبريز أربعة منابر ، وحضر القضاة والأئمة وعامة المسلمين ، وأدُّوا صلاة العيد بأروع المظاهر ، ثم رجع القضاة والخطباء مشمولين بالخلع والرعاية .

ولما كان أرغون خان يميل ميلا عظيما إلى تشييد العمارات والمبانى ، فقد أسس مدينة عظيمة فى موضع شام تبريز ، وشيدوا هنالك العمارات المرتفعة ، وأمر بأن يبنى كل من يريد لنفسه منزلا فى هذه المدينة . ثم أجرى

فيها القنوات ، وأطلق عليها اسم « الأرغونية » ، وكان قد شيَّد كذلك مدينة كبيرة فى شرو ياز ، وأنفق على تشييدها أموالا طائلة ، إلا أنها لم تكمل . وكان لأرغون شغف كبير بصناعة الكيمياء ، إذ أن جماعة كانوا قد رغبوه فيها .

قصة

تناول أرغون خان دواء الكبريت والزئبق بإشارة كهنة المغول ، واعتكافه أربعين يوماً حسب طريقتهم وبدء مرضه

كان أرغون خان يعتقد اعتقاداً راسخاً فى كهنة المغول وأساليبهم ، وكان دائماً يرعى تلك الطائفة ويعمل على تقويتها ، فاتفق أن جاء كاهن من الهند، كان يدعى إطالة العمر . فسأله أرغون : « بأية طريقة تطول أعمار الكهنة هناك ؟ » فأجاب : « باستعمال دواء خاص » فسأله أرغون : « هل يوجد هنا هذا الدواء ؟ » . قال : « نعم » . فأمر أرغون بإعداده ، فجهز الكاهن معجوناً فيه الكبريت والزئبق ، ظل أرغون يتناوله مايقرب من ثمانية أشهر، واعتكف فى النهاية أربعين يوماً فى قلعة تبريز .

وفى تلك المدة لم يدخل عليه مخلوق سوى اوردوقيا وقوچان وسعد الدولة،

والـكهنة الذين كانوا يلازمونه ليل نهار ، ويتباحثون معه فى المعتقـدات . وبعد أن خرج من الاعتكاف قصد مشتى اران حيث اعتراه مرض . وكان الطبيب الخواجة أمين الدولة يلازمه ويعالجه ، وكان يبذل جهده فى العـلاج بالاشتراك مع الأطباء الآخرين حتى تمـاثل للشفاء بعد مدة بفضـل حسن تدبيرهم .

وذات يوم اتفق أن دخل عليـه كاهن ، فسقى أرغون خان ثلاثة كئوس . ولما كان هـذا الشراب مركزاً نافذاً ، فقد انتـكست صحتـه ، وتأصل فيـه المرض ، فعجز الأطباء عن معالجته . وبعد مضى شهرين على مرضه ، أخـذ الأمراء يتبادلون الرأى والمشورة بشأن مرضه . فقال بعض الناس إن إصابة العين (الحسد) هى سبب المرض ، فيجب توزيع الصدقات . وقال البعض إن السحرة قد نظروا فى علم الـكتف[1] وقالوا : « إن السحر هو سبب المرض » . فوجهوا تلك التهمـة إلى طوغجـاق خاتون ، وأخـذوا يحققون معهـا بضرب العصا والتعذيب . وفى النهاية ألقوا بتلك السيدة فى اليم مع طائفة أخرى من النسوة . وقد حدثت هذه الواقعة فى السادس عشر من المحرم سنة ١٢٩١/٦٩٠ .

---

(١) إشارة إلى عادة مغولية بدائية كان يتبعها سحرة المغول ويعتقدون أنها تعينهم على التنبؤ بالغيب وكشف الأسرار . وهذه الطريقة تتلخص فى أنهم كانوا يضعون عظم كتف الخروف مدة فى النار حتى يسود ، ثم ينظرون فيه بدقة ويقرأون الغيب (انظر المغول فى التاريخ ، تأليف فؤاد عبد المعطى الصياد ، ص ٢٥٠ ، القاهرة ١٩٦٠) .

حكاية

اشتداد المرض على أرغون واضطراب الأمراء

بسبب ذلك وقتل سعد الدولة و بعض الأمراء

فى الرابع والعشرين من المحرم سنة ٦٩٠/١٢٩١ عبر أرغون خان نهر « كر » ، ونزل فى منطقة « باغچه اران » . وقد يئس الأمراء من حياته بسبب اشتداد المرض عليه . وكان طغاجار و بقية الأمراء متنازعين ، وقد امتعض الواحد منهم من الآخر ، ولكنهم كانوا جميعاً ناقمين على سعد الدولة ، متألمين من غروره وتنطعه .

ثم اتفقت كلمة الأمراء فى الرابع من صفر . وفى الرابع عشر من هذا الشهر سنة ٦٩٠/١٢٩١ أقسم طغاجار وقونجقبال مع توكال وطغان على العمل متضامنين ، واستقر رأيهم على ذلك ، وشرعوا يكيدون لخصومهم ، وكانوا يشكون من سلطان ايداجى أكثر من غيره ، وذكروا أن ساحراً يقول : « إننى رأيت الأطفال الصغار لهولاجو وقرانوقاى قد جاءوا إلى أرغون خان يقولون له : بأى ذنب أمرت بقتلنا ؟ ، فأجاب : لا علم لى بذلك . إن سلطان ايداجى قد قتلكم بغير إذن منى » .

وفى يوم الجمعة ٢٨ من صفر ، اعتقلوا سلطان إيداجى مع طائفة من

الأمراء الآخرين ، وأخذوا فى التحقيق مع سلطان إيداجى قائلين له : « لماذا قتلت أطفال الأمراء المذكورين ، وقتلت توغجاق خاتون ؟ » فأجاب : « بموجب الفرمان » ، فأرسل الأمراء « أوردوقيا » إلى المعسكر ليستفسر عن صحة ذلك ، فعاد وذكر أن الملك يقول : « إننى لا علم لى بذلك » . فقال سلطان إيداجى : « إن الملك لا يستطيع أن يتكلم منذ مدة بسبب اشتداد المرض عليه . فمن العجيب حقا إذا كان قد تفوه بهـذا الـكلام » . فأجاب الأمراء كلهم : « إذا كان الملك لا يستطيع أن يتكلم ، فإنك تـكون قد قتلتهم وفق هواك ، ويـكون جورك وظلمك هما السبب فى مرض الملك ، ولماذا رأيت أن ترتـكب هـذه الجريمة ، وتحمل الملك وزرها ؟ » . ولهـذا قضوا عليه فى غرة ربيع الأول .

وفى ذلك اليوم احتفلوا بميلاد الأمير « ختاى أغول » ، واعتقلوا جوشى وأوردوقيا ، وأرسلوا طغان لـكى يقبض على قوجان وسعد الدولة ، وأعدموا فى تلك الليلة جوشى وقوجان ، وفى اليوم التالى حاكموا أوردوقيا وسعد الدولة فى منزل طغاجار ، وقضوا عليهما ، ثم داهم توكال وطغان اصطبل سعد الدولة ، وشرع الجنود فى السلب والنهب ، ونهبوا كل ما كان فى ديار المسلمين واليهود ، وحفروا أماكن الخيام والسرادقات للبحث عن الدفائن والذخائر . ثم تحرك الجنود وقت السحر ، وأخذوا فى إثارة الشغب ، وكانوا ينهبون كل مايجدونه ، فتعرض الناس للاضطرابات والفتن .

حكاية

نهاية مرض أرغون خان ، ووفاته بموضع باغچه أران

ظل أرغون خان مريضا من أول شوال إلى أوائل ربيع الأول ، ولهذا السبب اضطربت شئون البلاد ، وتطرق كثير من الخلل إلى الناس جميعا . وأخيرا لقى أرغون حتفه فى يوم السبت ٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٠/١٢٩١ الموافق إيسكندى سنة . . . . [1] ، وقت الضحى بموضع باغچه اران ، وترك الدنيا الفانية لذريته المشهورة الخالدة . وقد أقيمت مراسم التعزية فى معسكراته .

وفى يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول حمل جثمانه إلى ناحية « سجاس » . فليجعل الله تعالى سلطان الإسلام « غازان خان » وارثا للأعمار سنين طويلة، وقرونا عديدة متمتعا بالدولة والإقبال والعظمة والجلال بحرمة النبى المختار محمد وآله وصحبه الأخيار .

حكاية

اختلاف الأمراء بعد وفاة أرغون خان
ووصف أحوالهم فى ذلك الوقت

فى يوم الخميس الثانى عشر من ربيع الأول الموافق ١٣ من ايسكندى ،

(١) هكذا فى الأصل .

أرسل المغول « قبان الأقتاجى » لاستدعاء الأمير غازان ، وفى اليوم التالى أوفدوا إلى بغداد « تايتاق بن قوباى نويان » الذى كان أخا لآباقاخان من الرضاعة ، كما كان أميرا لمعسكر أحمد لاستدعاء الأمير بايدو ، و بعثوا بلـكزى إلى الروم لاستدعاء الأمير گيخاتو .

وقد انقسم الأمراء شيعا ، بحيث إنهم وقت الرحيل ، كانوا ينفخون الأبواق من أكثر من عشرين موضعا . ولما كان بايدو أميرا ذا حياء ووقار ، لم تـكن له سلطة قاطعة على الأمراء والجنود . وكان طغاجار وقونجقبال وطوغان وتوكال والجماعة الذين كانوا قد أثاروا الفتن والاضطرابات يخشون بأس غازان وجبروته ، ولهـذا كانوا يطلبون الملك لبايدو . وقد اتفق معهم فى هـذا الرأى الأمراء شيـكتور وسماغار نويان ودولاداى إيداجى وتـكنا و إيلجيداى القوشچى و بوغداى وقواد الميسرة .

ولـكن لم يكن بايدو قد وصل بعد ، فتشاوروا فى الأمر بخصوص هـذا الموضوع فى الحادى عشر من ربيع الأول ، واستقروا على هـذا الرأى فى يوم الإثنين السادس عشر من هذا الشهر وعرضوه على الخواتين . وفى هذا اليوم أيضا أرسلوا سماغار نويان إلى الروم ، وفى اليوم التالى أوفدوا «باليه زاد» فى إثر لـكزى لـكى يعيده .

وفى يوم السبت ٢١ من ربيع الأول ، قتلوا « عز الدين جلال » نائب سعد الدولة ، والذى كان دائما عليلا ، و إلى أن حلت غرة ربيع الثانى قدم

الرسل من خراسان مرتين ، وأبلغوا أنبـاء الاضطرابات .

وفى يوم الجمعة ٢٦ من ربيع الثانى ، اجتمع سائر الأمراء فى المعسكر ، واستدعوا الرسل الذين كانوا قد حضروا من لدن الأمراء . وفى الثامن من جمادى الأولى قدم الأمير « إلادو » من خراسان والعراق ، وأخبر أن اللور قد تمردوا واستولوا على إصفهان ، وقتلوا بايدو شحنة إصفهان وجماعة آخرين ، وداهموا جيوش المغول الذين كانوا يقيمون فى تلك النواحى ، وشتتوا شملهم . وكانت أخبار فتنهم واضطراباتهم تصل تباعا .

وفى ذلك اليوم أرسلوا « شادى بن بوقو » وبورالغى بن جينكقور لاستدعاء الأمير بايدو ، وكلفوا « دولاداى إيداجى » بصد هجمات اللور . وفى يوم الأربعاء ٢٢ من جمادى الأولى رحل عن مخيمات الخواتين الأمير النجل « سوكا » و « چوبان » و « وقورمشى بن عليناق » من الأمراء ، قاصدين حضرة الأمير « گيخاتو » ، وكانت تلك المشورة بإيحاء من «توكال». وقد لحق بهم « بولارغوقياتى » الذى كان قائدا لأربعة آلاف جندى ، فضعف وضع بايدو لهذا السبب ، وكان ذلك نتيجة تدبير « أوروك خاتون ».

وفى اليوم التالى وصل الأمراء إلى حضرة الأمير بايدو فى موضع حى « بولداغ » من نواحى سغورلوق . وفى الليلة الخامسة والعشرين فرّ ساتى وقوبان وتوداجو قاصدين الروم ليلتحقوا بخدمة الأمير گيخاتو . كما رحل إليه فى الليلة التالية حراس المعسكرات ، وفى ليلة أخرى لحق به « إيلجيداى

القوشچى » و« تيمور بوقا » ، ثم توجه إليـه قونجقبال وجميع الأمراء في ليلة ثالثة .

ولهـــذا السبب فشلت المحاولات الخاصة بتنصيب بايدو ملـكا ، واستقر الرأى على توليـــة گيخـاتو . والله أعـلم بالصواب وإليـه المرجع والمآب .

القسم الثالث
من تاريخ أرغون خان(١)

فى سيره وأخلاقه الحميدة ، وكلماته الحكيمة ، وأمثاله وحكمه المستحسنة التى تفوه وأمر بها ، والحكايات والحوادث التى وقعت فى عهده مما لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعرفت غير مرتبة ومتفرقة من الرجال .

---

(١) أورد الناشر فى الحاشية هذه الإضافة على النص نقلا عن مخطوطة أخرى من كتاب جامع التواريخ . وهذه ترجمتها :

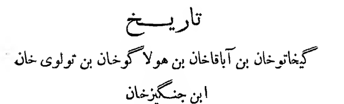
كان أرغون خان ملكا عاقلا له طبع لطيف وخاطر وقاد . وكل من يتحدث معه فى مقدمة عقلية أو مسألة نقلية كان يعجب به . وقد استراح الناس فى ظل رأفته الظليل ، وكان له ميل شديد وشغف تام بإنشاء العمارات . وكان مثل أبيه وجده شغوفا بتشييد العمارات والأبنية ؛ فأسس قصرين عاليين فى الجانب الغربى من تبريز فى نواحى « شنب » التى يطلق عليها العوام اسم « شام » . ثم شيد مدينة بين القصرين ، وأقام فى داخلها صفتين عاليتين شبيهتين بإيوان كسرى ، وبنى السقوف المقرنسة والشرف المقوسة والعمارات الجميلة المنقوشة الجذابة . وقد سمى تلك المدينة « الأرغونية » وهى التى ورد ذكرها خلال الحكايات السابقة .

وفى عهده كانت تبريز كأنها مصر بسبب كثرة السكان ، وصارت الأرغونية مقر الملك مثل القاهرة . كذلك أقام مدينة فى مراعى « قنقور اولانگ » فى ناحية « شرو ياز » ، وأجرى العيون والقنوات ، وأنفق عليها أموالا طائلة . ولكن هذه المدينة لم تتم فى عهده بسبب قصر عمره ، فأتمها السلطان اولجايتو فى أيام دولته ، وسماها السلطانية . وفى مصيف « لار » فى سفح جبل « دماوند » شيد أيضا جوسقا عاليا يعرف الآن بجوسق أرغون. كما أنه أقام فى كثير من المواضع القصور المنيفة والساحات المنيعة .

ومن ناحية أخرى كان عظيم الشغف بصنعة الكيمياء والإكسير ، فكان المشتغلون بالكيمياء يقصدون حضرته من الأطراف والنواحى ، وكانوا يرغبون السلطان فى تلك الصنعة . وفى سبيل ذلك كان يصرف الأموال الطائلة ، ولا يحاسبهم مطلقا ، بل كان يأمر لهم ـ مرحبا ـ بنفقات أخرى .
=

= وذات يوم كان العلماء يبحثون مسألة من المسائل الغامضة بحضور مولانا قطب الدين الشيرازى ، ثم تفرقوا كالإكسير ، فقال أرغون لمولانا : « لأننى رجل تركى وأنت رجل عالم، قد تظن أن هؤلاء يسخروننى ويستغلوننى ، والحقيقة أنى أردت مرارا أن أصرفهم . ولـكن مادام المؤكد أن لهذا العلم الشريف وجودا ، وقد يكون هنالك من يعرفه ، ولأنى إذا لم أرع الجهلاء ولا أجهز عليهم بالسيف ــ فلن يثق بى عالم مطلقا » .

وقصارى القول أنه قد صرفت أموال لا حصر لها فى التعقيد والتصعيد والتحليل والتركيب والتحقيق والتقطير والتشميع والتمفين والتطهير والتبييض والتخمير والتصعير والتنكيس والتكليس والتنقية والتصفية والتحلية والتطرية ، ولـكن بعد التجارب العديدة والاختبارات الـكثيرة زال عن الأبصار نقاب الشبهة وحجاب الريبة ، ولم ينتج عن الإكسير سوى الانكسار وخسارة المحصول . والسلام على من اتبع الهدى .



تاریخ

گیخاتوخان بن آباقاخان بن هولاگوخان بن تولوی خان
ابن جنگیزخان

وهذا التاريخ على ثلاثة أقسام :

قسم قسم قسم

كان ميلاده المبارك فى ليلة ٢٥ من شهر بهمن القديم سنة ٦٣٨ اليزدجردية الموافق سنة . . . . (١) وأربعين وستمائة هجرية بمقام . . . . (١) بطالع السنبلة . وقد أجلسوه على سرير الملك فى يوم الأحد ٢٤ من رجب سنة ١٢٩١/٦٩٠ الموافق ٢٥ من آلتينج من سنة تولى . ثم توفى فى يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٥/٦٩٤ . وكانت مدة عمره . . . . (١) سنة ، ومدة حكمه ثلاثة أعوام وعشرة أشهر .

القسم الأول : فى بيان نسبه ، وأسماء نسائه وأولاده وبناته وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وذكر أصهاره وجدول فروع أبنائه .

القسم الثانى : فى مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء إبان جلوسه على سرير الخانية ، وتاريخ عصره ، وكل ما حدث فى تلك المدة .

القسم الثالث : فى سيره وأخلاقه الحميدة ، وكلماته وأمثاله وحكمه وأحكامه المستحسنة التى تفوه وأمر بها ، والحكايات والحوادث التى وقعت فى عهده مما لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعرفت متفرقة.

(١) هذه الكلمات ساقطة من المتن .

القسم الأول

فى بيان نسبه، وأسماء نسائه وأولاده وبناته وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت، وذكر أصهاره وجدول فروع أبنائه

كيخاتو هو الابن الثانى لآباقاخان. ولد من نوقدان خاتون من قبيلة التاتار. وقد سماه الكهنة «ايرنجين دورجى»، وكان له زوجات ومحظيات كثيرات.

فقد تزوج أول الأمر من عائشة خاتون بنت طوغو بن ايلكاى نويان، ومن بعدها تزوج من دوندى خاتون بنت آقبوقا بن ايلكاى نويان من الجلائريين، ثم تزوج من ايلتوزميش خاتون بنت قتلغ تمور كوركان من قبيلة القنقورات. ومن بعدها تزوج من پادشاه خاتون بنت قطب الدين سلطان كرمان، ثم من اوروك خاتون بنت ساريجه من قبيلة كرايت، ومن بعدها تزوج من بولغان خاتون.

وكانت له محظية اسمها «نبى» تزوج منها من بعده «الافرنك». كما كانت له محظية أخرى تدعى ايسن بنت بيكلميش أخى اوجان من قبيلة اورلات.

وقد أنجب ثلاثة أولاد أكبرهم الافرنك وأمه «دوندى خاتون».

وثانيهم ايرانشاه من دوندى خاتون أيضاً .

وثالثهم « جينك بولاد » من بولغان خاتون .

وكان له أربع بنــات : إحداهن تدعى « اولا قتلغ » زوجت من غر بتاى . والثانية ايلغتلغ زوجت من الأمير قتلغ شاه ، والثالثة أراقتلغ . وقد ولد ثلاثتهن من عائشة خاتون ، وكان له أيضاً بنات[1] من دوندى .

(١) لم يذكر فى الأصل اسم البنت الرابعة .

القسم الثانى

فى مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء إبان جلوسه على سرير الخانية ، وتاريخ أحوال عصره ، وكل ما حدث فى تلك المدة

المقدمة فى جلوسه على عرش الخانية

كان أكثر الأمراء فى بادئ الأمر قد اتفقوا على تولية بايدو ، ولا سيما تلك الطائفة التى كانت سببا فى إثارة الفتن . وبينما سار الأمير چوبان وقورميشى و بقية الأمراء حسب ترتيبهم إلى حضرة گيخاتو قاصدين توليته ، فترت همة الباقين فى تنصيبه .

ولم يقبل بايدو نفسه أن يتولى الملك ، فخاف طوغان الذى كان يسعى سعيا حثيثا فى هذا السبيل ، وفر هاربا إلى گيلان ، فتعقبه الجنود واعتقلوه ، وأحضروه لدى الأمراء ، فحماه بايدو ، ووضع تحت الحراسة لحين وصول گيخاتو .

ولما علم گيخاتو أن الأمراء فى انتظاره ، توجه من الروم نحو ايران ، ولحق بالخواتين والأمراء ، والأمراء الأنجال فى ألاتاغ . وقد اتفقوا جميعا

على توليــة گيخاتو فى يوم الأحد ٢٤ من رجب سنة ٦٩٠/١٢٩١ بنواحى « أخلاط » .

حــــكاية

اعتقال الأمراء الذين كانوا قد قاموا بإثارة الفتن ومحــاكمتهم

بعد أن فرغ المغول من إقامة الحفلات ومجالس الشراب ، قبضوا على جميع الأمراء فى أوائل شعبان ، وشرعوا فى التحقيق معهم ، ذلك لأن گيخاتو كان يريد أن يقف على حادثة موت أخيه أرغون خان وقتل الأمراء والوزراء . وفى بادئ الأمر جلس بنفسه لهذا الغرض ، وسأل « شكتور نويان » الذى كان مقدما على الأمراء عن حقيقة الحــال . فأجاب قائلا : « إن الأمراء حاضرون ، فليستفسر الملك منهم حتى يتبين من كلامهم ذنب وذنب كل منهم » . فقال الأمراء . جميعا : إن طغاجار وقونجقبال قد بدءا بإثارة الفتن . ثم تحدثا مع « سماغار » و « تــكنا » فى هذا الشأن . وبعد أن اتفقوا فيما بينهم على تنفيذ الخطة ، تــكلموا مع شكتور نويانــ ، فأجابهم قائلا : « إننى متفق معكم فى كل ماتحدثتم عنه » .

ولمــا بلغ بهم الحديث هذا الموضع قال شكتور نويان . « فى المقام الذى

يبادر عــدد من الأمراء ذوى القدرة والسلطان بتنفيذ أفــكار فاســدة ، ماذا أفعل أنا الرجل الهرم الضعيف عندما أجد إخوانى الذين أستظهر بهم بعيدين عنى فى ملازمة الملك ببلاد الروم . فلو كنت أقول مايخالف كلامهم ، لــكنت أفقــد رأسى ، ولعاملونى معاملتهم لجوشى وأورد وقيا » . فقبل گيخاتوخان عذره وصفح عنه . و بعد انتهاء التحقيق شمل الأمراء برعايته .

وما أن شاهد بقية الأمراء ماحدث لشكتور ، حتى وثق جميعهم فى عفو گيخاتو ، وســارعوا إلى الاعتراف بذنوبهم . وكان طوغان ، مسجونا فى الوقت الذى كانت نساء جوشى وأورد وقيا وأبناؤهما يطالبون بقصاص أبيهم منه . وكان آقبوقا ناقما على طوغان ، وكانت اوروك خاتون تحقد عليه كذلك . غير أن گيخاتو كان يتريث فى قتله ، فقالت له اوروك خاتون : « إذا لم يقتل طوغان مع كل ما أثاره من فتن واضطرابات ، ولم يؤخذ منه قصاص ماسفــكه من دماء الأمراء ، فلن يرتحل أى مخلوق بعد هذا بقلب مخلص سليم » . فقال گيخاتو : « إذا ارتــكب أحد مثل هذه الأعمال ، فهو لا محالة مستحق لذلك الجزاء » . فخرج « آقبوقا » بعد أن سمع هذا الكلام من السلطان ، و بعث بصبية أوردقيا فأجهزوا على طوغان .

وفى التاسع من شوال حل گيخاتو بموضع « ألاتاغ » . وفى اليوم التالى عندما ثبتت براءة الأميرين طغاجار وقونجقبال وغيرهما ، شملوا بالعطف والرعاية . وفى يوم الجمعة ٤ من رمضان ، عقد گيخاتو النية على العودة إلى ديار الروم .

حكاية

توجه گيخاتو إلى ديار الروم واختيار شيكتور
نائبا عامًا من قبله

بعد أن ارتحل گيخاتو من ألاتاغ قاصدا بلاد الروم ، فوض إلى شيكتور نويان النيابة المطلقة من قبله على بلاد إيران ، فغادر ألا تاغ وقدم إلى تبريز . ثم سار بصاحبة الأمراء إلى مشتى « أران » ، ونزل فى موضع قراچالى على ضفاف نهر « كر » حيث كان موطنه القديم ، واشتغل بتدبير مهام البلاد ومصالح الملك ، وأوفد الرسل وحاملى الأختام إلى الأطراف .

وفى يوم الأحد ٢٨ من المحرم سنة ٦٩١/١٢٩٢ توفى الأمير « زنبو بن يشموت» بموضع چغاتو ، وكان گيخاتو قد بعث بالأمير انبارجى إلى خراسان مع عشرة آلاف جندى ، وتوقف لقضاء الشتاء فى نواحى الرى . وكان طغاجار تابعا لشيكتور نويان ، فالتمس الإذن منه بحجة زيارة أبنائه ، وتوجه إلى دياره ، وأرسل نائبه صدر الدين الزنجانى ومعه المدعو « بابا القزوينى » — إلى قزوين . وقد أبلغ صدر الدين أخاه قطب الدين أن التركمان فى الروم والقرمانيين تغلبوا على گيخاتو وقضوا عليه ، وأن الأمراء جميعا قد اتفقوا على تولية الأمير « انبارجى » ، فينبغى أن يسرع الأخ إليه ويشرح له

حقيقة الحال ليعدل عن السفر إلى خراسان ويعود إلى ناحية أران ، فتحدث قطب الدين مع الشيخ جمال الشيرازى أحد ندماء الأمير انبارجى فى هذا الشأن ، فأبلغه هذا بدوره إلى الأمير .

ولما كان هذا الأمير فى غاية الذكاء والكفاءة ، فقد رأى من الواجب مراعاة شروط الاحتياط ، فأرسل أحد أتباعه ــ المدعو مولاييد ــ إلى شيكتور بعنوان الرسالة ليستجلى حقيقة الأمر ، فالتقى فى الطريق بطغا جار وكان معه صدر الدين ، فقال للرسول : « ليس من المصلحة أن تذهب إلى شيكتور ، فعد وامض سريعا لكى يعجل الأمير بالمجئ ويجلس على العرش » .

ولكن مولاييد كان محنكا وذكيا فقال : « قد أفعل ذلك . ولكن حيث إن ديارنا قريبة ، فسوف أزور أهلى وأقاربى ثم أعود » . وبعد أن فارقهم ، توجه نحو قراچالى إلى أن بلغ خدمة شيكتور ، فشاهد فى الطريق الرسل الذين كانوا يقدمون من الروم حاملين الفرمانات . وقد أرسل معهم گيخاتو الهدايا والتحف للخواتين والأمراء الأنجال ، والأمراء . وقد وجد من بينهم صديقا يوثق بقوله ، فاستفسر منه عن صحة گيخاتو ، فأخبره بأنه فى صحة وعافية ، وأنه مسرور ومظفر . فتحقق لدى « مولاييد » أن صدر الدين كان يقصد الخديعة والتغرير ، وإذا جازت تلك الحيلة لما بقى انبارجى والأمراء سالمين .

وفى الحال ذهب مولاييد إلى شيكتور ، وبلغه رسالة الأمير انبارجى على رؤوس الأشهاد . ثم طلب أن يختلى به ، وشرح له حقيقة الحال من البداية إلى النهاية . وكان شيكتور قد فهم قدرا كبيرا من هذه المسائل ، فأجابه بأجوبة طيبة ، وأرسل إلى انبارجى تحفا وهدايا . ثم تحرك هو بنفسه ، وداهم صباحا ديار طغاجار واعتقله كما اعتقل صدر الدين ، وجاء بهما إلى داره وسجنهما ، وأبقاهما حتى موسم الربيع حينما وردت الأخبار بوصول كيخاتو ، فبعث بهما ذليلين بصحبة خمسمائة من الفرسان الأشداء لاستقباله . ثم حُمِلا عبر حدود ارزن الروم إلى حضرة كيخاتو بعد أن كانا قد مرا بألف إلى ألف من الجنود . ثم قدم كيخاتو ، ونزل فى مصيف ألاتاغ .

وفى يوم الأحد ١٢ من رجب سنة ٦٩١/١٢٩٢ الموافق ١٤ من آلتينچ سنة لو وقع الأمراء الأنجال، والأمراء على الوثيقة الخاصة بعهد التولية ،وأجلسوا كيخاتو على سرير الملك مرة أخرى ــ حسب العادة المتبعة ــ فى مصيف ألاتاغ حيث أقاموا مراسم الابتهاجات والطرب والتهانى .

حـــكاية

تفويض الوزارة إلى صدر الدين الزنجانى، ومنصب قاضى القضـاة إلى أخيـه قطب الدين

أمضى كيخاتو ذلك الصيف فى « ألاتاغ » ، وقدم غازان من خراسان لرؤيته . ولما بلغ تبريز عاد أدراجه دون مقابلته إياه ، وكان ذلك حسب إشارة كيخاتو نفسه ، وقدم صدر الدين الزنجـانى أموالا طائلة لـكيخاتو ، كان قد حصل عليها من أموال القتلى . ثم التجأ إلى « بوراقجين ايكاجى » الذى كان مربيا لـكيخاتو ، وكان ذا منزلة كبيرة ، وطلب بواسطته الوزارة ، وكان « شمس الدين أحمد لاكوشى » يطلب ذلك المنصب أيضا بواسطة جمع من الأمراء . وقد استطاع صدر الدين ـ بوساطة شرف الدين السمنانى ـ أن يستميل آقبوقا إلى جانبه ، ويجعـله حاميا له ، وكان يرضى الجميع بمبالغ من التومانات .

وفى أثناء ذلك وصلت الأنباء من الروم تفيد أن جيش الأعداء قد وصل من الشام ، وأن الملك الأشرف قد حاصر قلعة الروم . وفى شهر رجب توجه « تايجوأغول بن منكو تيمور » و «طغاجار» و « بوقداى الأقتاجى» و «تماجى

إيناق» مع جيش مجهز للقضاء على هؤلاء الأعداء . وفى شهر شعبان توجه الأمير « سوكاى » والأمير « تيمور بوقا » و « قراجه » إلى قلعة الروم عن طريق أخلاط وأرجيش . ولكن الملك الأشرف استولى على قلعة الروم فى أواخر رجب ، وقتل بعض سكانها ، وأسر البعض ، وسلم القلعة إلى حراس من قبله ثم عاد .

وقد تزوج گيخاتو من بولوغان خاتون أثناء عودته من ألاتاغ من نواحى التان ، وكان ذلك فى شهر شعبان سنة ٦٩١/١٢٩٢ . وفى يوم الثلاثاء ١٨ من رمضان من ذلك العام اعتلت صحة گيخاتو بعض الشىء عندما كان فى « تسو » من أعمال تبريز ، وأدى به الأمر إلى مرض عضال ، فكان يشرف على علاجه الطبيبان النصرانيان ربيب الدولة وصفى الدولة . وقد بذلا الجهود فى سبيل شفائه حتى عادت صحته كاملة خلال أربعين يوما .

وفى السادس من ذى الحجة سنة ٦٩١/١٢٩٢ تقرر إسناد منصب صاحب الديوان إلى صدر الدين ، والتمس من حضرة گيخاتو أن يخاطب بلقب « صدر جهان » (أى صدر العالم) ، وأن يدعى أخاه « قطب جهان » (أى قطب العالم) ، وأن يلقب ابن عمه بلقب « قوام الملك » ، وحصل على منصب قاضى القضاة لأخيه . كما أسند إليه حكومة تبريز . وأما حكومة العراق فقد عهد بها إلى قوام الملك .

وفى الثالث من جمادى الأولى سنة ٦٩٢/١٢٩٣ توفى « تكناتطغاول »

بسراى المنصورية فى أران ، وحمل إلى مراغة . وقد قدم گيخاتو فى الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ٦٩٢/١٢٩٣ ، وسار من مراغة إلى سياه كوه فى الثانى عشر من رجب . وفى السابع من شعبان وصل رسل « قونجى اغول » لإظهار الولاء وطلب الاتفاق . وفى التاسع من ذلك الشهر قدم من خراسان قتلغشاه نويان ورسل أوركتمور اغول ، ورسل نوروز ، وصادف ذلك اليوم عودة عائشة خاتون من الروم و « بايتمش » من ديار بكر . وفى السابع عشر من شعبان عاد كراى اغول بن منكو تيمور وقونجقبال ودولاداى ايداجى الذين كانوا قد ذهبوا لإمداد جند خراسان . وفى أواخر شعبان نزل گيخاتو فى « اشكر » ، حيث أعدم قتلغبوقا بن صادون الكرجى ، وفى الثانى عشر من رمضان رحل گيخاتو إلى « أوجان »، ثم إلى « هشترود » فى التاسع عشر، وخرج منها نحو « مراغه » قاصدا « اران » حيث قضى المغول الشتاء .

وفى الخامس من ربيع الأول سنة ٦٩٣/١٢٩٤ ولد الأمير « بيرى » . وفى ٢٨ من ربيع الثانى قدم الرسل من قبل توقتا ، وكان مقدمهم الأمير « قالينطاى » . وقد نال « بولاد » و « بدلان ناوور » شرف المثول أمام الحضرة لطلب الصلح والوفاق ، ولتقديم ملتمسات شتى من كل نوع ، فأعيدوا بكل مظاهر الإعزاز والتكريم .

وفى الثانى من جمادى شيد گيخاتو مدينة كبيرة على ضفاف نهر « كر » ، وسماها « قتلغ باليغ » . ثم رجع من المشتى ، واستعرض الجند فى « بيلسوار » .

وفى أوائل جمادى الثانية سنة ٦٩٣/١٢٩٤ تبادل المغول الرأى بخصوص طبع أوراق العملة « چاو » . وفى السابع من رجب توفى كراى اغول بن منگو تيمور . وفى السادس عشر من رجب المذكور ، وصل إلى الحضرة فى « ألاتاغ » الأمير « بايدو » ، فعاتبه گيخاتو وأغلظ له فى القول . وفى الخامس عشر من شعبان أذن له بالعودة بشفاعة « بوراقچين إيكاجى » . وفى السابع من رمضان بلغ المغول « ألاتاغ » ، حيث عقدوا مجلس الشورى . وفى يوم الخميس ٢١ من ذلك الشهر انفرط عقد الاجتماع .

حكاية

وضع الچاو المشئوم ، والاضطرابات التى ظهرت فى البلاد بسببه

كان صدر الدين و بعض الأمراء يتحدثون أحيانا عن عملة « الچاو » التى كانت رائجة فى بلاد الخطا (الصين) ، وكانوا يتباحثون و يفكرون فى وسائل إعدادها وتداولها فى هذه البلاد . ثم عرضوا هذه المسألة على حضرة گيخاتو ، فاستفسر عن حقيقة ذلك من پولاد چينگسانگ . فأجاب قائلا : « إن الچاو عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك ، يتعامل به فى جميع بلاد الخطا بدلا من الدراهم . وأما عملتهم النقدية فهى « البالش » ــ السبائك ــ التى تصل إلى الخزانة العامرة .

ولما كان گيخاتو ملكا سخيا إلى حد بعيد ، وكان يهب الكثير إلى حد الإفراط ؛ بحيث إن أموال العالم لم تكن تكفيه ، فقد استحسن هذا الأمر. وكان صدر الدين يريد أن يبتكر شيئا فى البلاد ، لم يكن الآخرون قد اهتدوا إليه . فلا غرو أن كان يبذل الجهود الكبيرة فى هذا السبيل ، بيد أن « شيكتور نويان » الذى كان أعقل الأمراء ، بيّن أن الچاو سوف يكون سببا فى خراب البلاد . ولا بد أن يؤدى إلى سوء سمعة الملك ، واختلال أحوال الرعية والجند .

ولكن صدر الدين قال لگيخاتو : « إن شيكتور نويان يحب الذهب حبًّا جمًّا ، ولذلك فهو يعمل على إفساد خطة التعامل بالچاو » . فصدر الأمر بإعداد « الچاو » على الفور . وفى يوم الجمعة ٢٧ من شعبان سار « آقبوقا » و « طغاجار » و « صدر الدين » و « تماجى إيناق » إلى ناحية تبريز للعمل على ترويج الچاو ، فبلغوها فى التاسع عشر من رمضان ، وأبلغوا المرسوم ، وأعدوا كثيرا من عملة الچاو .

وفى يوم السبت ١٩ من شوال سنة ٦٩٣/١٢٩٤ أظهروا الچاو فى مدينة تبريز وروجوه فيها . وكانت الأوامر تقضى بقتل كل من لا يتعامل به فى الحال . فصار الناس يتعاملون به أسبوعا واحدا خشية السيف . لكنهم لم يكونوا يعطون أحدا شيئا فى مقابل هذا الچاو . وقد اضطر معظم سكان تبريز إلى الرحيل عن بلدهم ، وأخفوا الأقمشة والأغذية من الأسواق ، بحيث لم يعد

يوجد شيء قط ، وأخذ الناس يلجأون إلى الحدائق لتناول الفواكه .

وهكذا خلت من الناس تماما تلك المدينة التي كانت تموج بالسكان ، وأخذ الرنود والأوباش يسلبون كل من صادفوه في الشوارع والأزقة ، وانقطع ورود القوافل إليها . وكان الرنود يكمنون في مفترق الطرق،فإذا حصل مسكين على قنطار من الغلال أو سلة من الفواكه بشق الأنفس وبلطائف الحيل لكي يحملها إلى داره ، فإنهم كانوا يغتصبونها منه ، وإذا امتنع عن تسليمها إليهم كانوا يقولون له . « بع لنا هذه الأشياء ، وتسلم ثمنها هذا الجاو المبارك ، وبيّن لنا من أين اشتريتها » .

وقصارى القول فإن الناس قد تعرضوا لهذه المحنة ، ورفع المساكين أكفهم بالدعاء . وذات يوم كان گيخاتو يتجول في الأسواق ، فرأى الحوانيت مغلقة ، فسأل عن السبب . فأجاب صدر الدين : « توفى زعيم تبريز شرف الدين اللاكوشى . وقد اعتاد أهل تبريز أن يتركوا السوق ، لعزاء عظمائهم » . وفي يوم جمعة ثار الناس في المسجد ثورة عنيفة على قطب الدين لكي يسمح لهم بالتعامل كالمعتاد ، وأخذوا يبيعون الأطعمة في الأزقة بالذهب ، فقتلوا جمعا من الناس لهذا السبب أيضا ، وتوقفت المعاملات والوثائق توقفا نهائيا .

وذات يوم أخذ رجل فقير في السوق بعنان فرس صدر الدين وقال :

« إن رائحة الكبد المحترق قد ملأت العالم ،

فإن لم تشمها فبئست أنفك »

فبتأثير هذا الكلام استصدر صدر الدين ـ بعد خراب البصرة ـ فرمانا بالاتفاق مع الأتباع يبيح شراء الأطعمة بالنقود ، فتجرأ الناس لهذا السبب ، وأخذوا يتعاملون بالنقود علانية . و بتلك الوسيلة عاد إلى مدينة تبريز من كان قد هجرها وعمرت مرة أخرى فى فترة وجيزة .

وعاقبة الأمر أن « الچاو » لم يؤد إلى نتيجة ، فترك التعامل به، واستراح الناس من تلك المتاعب .

وفى يوم الجمعة الثانى من ذى القعدة سنة ٦٩٣/١٢٩٤ الموافق شهر « توقسونج » سنة . . . .(١) توفى الأمير « انبارجى » فى نواحى نخجوان .

حكاية

عصيان بايدو فى بغداد ، واختلاف أمراء گيخاتو وتمرد بعضهم عليه ، وعاقبة أمره

بعد أن نجا الأمير « بايدو» بشفاعة « بوراقچين ايكاجى » ، وعاد إلى مخيمه القديم ، شكا ماحدث له من گيخاتو إلى زملائه الأمراء بالتصريح والتلميح ، واستمال إلى جانبه الأمراء « توداجو يارغوچى » و « جيجاك

(١) هكذا فى الأصل .

كوركان » و « لـكزى بن أرغون آقا» و« ايلتمور بن هند وقور نويان » عند ذهابهم إلى بغداد ، وجعلهم يتحدون معه فى الخروج على كيخاتو . وقد اتفق معهم جمال الدين الدستجردانى الذى كان من كتّاب بغداد وعمالها .

أخذ كيخاتو يعد مايلزمه ويلزم الأمراء والجنود من الأسلحة والدواب والعدات والمؤن وغير ذلك . ثم أرسل بايدو الرسل إلى بغداد ، فقتلوا « محمد سكورجى » الذى كان شحنة هـذه المدينة من قبل كيخاتو . وهكذا شق بايدو وأتباعه عصا الطاعة ، وبادروا بالفتنة والفساد . ولمـا وقف « غربتـاى كوركان » على تلك الأحوال ، أرسل رسولا إلى كيخاتو يبلغه تمرد بايدو ، واتفاق الأمراء المذكورين معه ، وأوصاه بأن يحفظ نفسه من مكر الأمراء دولاداى ايداجى وقونجقبال وتوكال وايلجيداى وبوغداى الذين هم من حاشيته لـكنهم متفقون مع بايدو .

فتشاور كيخاتو مع الأمير آقبوقا فى هـذا الشأن ، وقبض على الأمراء المذكورين ، وقيدوا ثم أرسلوا إلى تبريز حيث سجنوا ، وذلك باستثنـاء « توكال » الذى كان غائبا فى ناحية كرجستان . وقد بعثوا بالرسل من مشتى اران إلى « بايبوقا » بديار بكر ليقبض على « بايدو » ثم يرسله .

ولمـا بلغ الرسل حدود « اردبيل » شاهـدوا على سـاحل نهر الزاب « بايبوقا » مقيداً يسـير به رسل بايدو ، فعاد الرسل من هنـاك ، وجاءوا بأقصى سرعة إلى كيخاتو ، وعرضوا عليه تفاصيل ماحدث لبايبوقا .

وفى يوم الخميس ٢٨ من ربيع الثانى سنة ٦٩٤/١٢٩٥ الموافق آخر « ايكندى » سنة . . . (١) أرسل الأميرين آقبوقا وطغاجار إلى معاقل « بايدو » ، وكان طغاجار قد بعث برسالة سرية إلى بايدو يحثه على الخروج . ولما بلغ هذان الأميران شاطئ نهر « جغاتو » ، قال آقبوقا خلال حديثه مع طغاجار : « إنك رجل محنك وداهية . ألا تعلم أى عمل ستعمل؟ » . ولم يكن آقبوقا يعلم برسالة طغاجار إلى بايدو . فلما سمع طغاجار هذا الكلام ظن أن آقبوقا قد وقف على أسراره ، وهو لهذا السبب يطرق هذا الحديث ، فصار خائفا يترقب . وفى منتصف الليل اتفق مع أمراء الكتيبة ، وتوجه إلى بايدو .

فلما شاهد آقبوقا ماحدث لحقته الهزيمة ، وقدم إلى حضرة گيخاتو بحدود « أهر » مع ثلثمائة فارس من خاصته . فتحير گيخاتو من هذا الأمر ، وأراد أن يسير إلى الروم . فقال له بعض الأفراد الحمقى من حاشيته : « ليس من المصلحة ترك التاج والعرش للعدو ثم الفرار منه ، على حين أن جنودنا مرابطون فى جميع هذه البلاد . فلنجتمع ، ونسير لحرب الأعداء» . فعاد گيخاتو من هنالك إلى اران ، وقدم فى اليوم التالى إلى بيلسوار .

أما الأمير « حسن بن بوقو » الذى كان من خاصة گيخاتو منذ الطفولة ، فقد هرب فى منتصف ذات ليلة مع أصحابه ، وتوجه إلى بايدو . وعندما بلغ هذا الخبر قونجقبال ودولاداى بتبريز ، خرجا من السجن وفرا

(١) هكذا فى الأصل .

هار بين . وقد اتفق الأمير ايرنجين و بايجاق مع طائفة أخرى ، وأطلقوا سراح قبجاق بن بايدو الذى كان مسجونا ، وحملوه إلى أبيه .

وفى يوم الخميس السادس من جمادى الأولى دارت الحرب بين تايتاق وطوغر يلجه فى نواحى همدان ، و بين باشماق اغول وقراجا صهر السلطان أحمد ، فكان النصر حليف « تايتاق » . وكان توكال يسير بجيش من گرجستان ، فأرسل رسولا إلى تبريز لدى الأمراء المسجونين يقول لهم : « إننى أقصد أران بجيش مجهز لإمداد الأمير « ايلدار » لأحارب گيخاتو ، فينبغى عليكم أن تنضموا إلىّ سريعا » .

فذهب هؤلاء على الفور ، ولحقوا بتوكال على ضفاف نهر كر ، وصاروا جميعا يبحثون عن گيخاتو . وأخيرا عرفت كتيبة « باريم » التى كانت فى بيلسوار مكان گيخاتو . فذهب جنودها ، وقبضوا عليه ، وسلموه للأمراء الثائرين فقضوا عليه ، وذلك فى يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى سنة ٦٩٤/١٢٩٥ الموافق ٧ من « اوجونج » سنة . . . .[١] كذلك أعدموا معه « تماجى ايناق » و « ايت أوغلى » و « ايت بوقى » الذين كانوا مقربين إليه .

وقد اعتقل « ايت قولى » الذى كان أثناء استجواب بايدو وتأديبه يباشر هذا العمل ، وسيق إلى بايدو لكى يقتص منه كما يتراءى له . فلما

(١) هكذا فى الأصل .

وصل إلى هناك قال بايدو : « إن إقدامه على ذلك التصرف كان بأمر من السلطان ، فلا يمكن مؤاخذته » . وأمنه على حيـاته . وقد أُلقِيَ القبض على آقبوقا وطايجو (ثم أطلق سراحهما) . وعندما كان يحارب « غازان » « بايدو » بالقرب من هشترود اعتقلامرة أخرى وقتلا .

وفى يوم الأربعاء ١٩ من جمـادى الأولى سـنة ١٢٩٥/٦٩٤ أوفد الأمراء الأمير رمضان من ملتقى نهرى كوكره وجغاتو إلى غازان ، لإبلاغه حادثة مقتل گيخاتو ، وأرسلوا رسولا إلى بايدو لـكى يحضر بأقصى سرعة ، ويجلس على العرش .

فلما سمع بايدو ذلك الخبر ، ابتهج وفرح فرحا شديدا ، وقتل طائفة الأمراء الذين كانوا يعادونه . ثم توجه إلى هذه البلاد . وسوف يأتى شرح جميع أحواله فى تاريخ غازان خان ، إن شاء الله تعـالى والسلام على أهل السلام .

القسم الثالث

من تاريخ گيخاتوخان

فى سيره وأخلاقه الحميدة ، والأحكام التى قررها ، وأمر بها ، والحكم والأمثال المستحسنة التى تفوه بهـا مما لم يدخل فى القسمين السابقين ، وعلمت من كل شخص .

موضوعات الكتاب

صفحة

تاريخ

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

كشاف

١ — أسماء الأشخاص

(ش)

كشاف

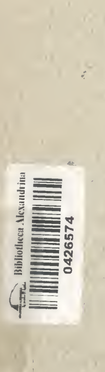
٢ – البلدان والأمكنة

كشاف

٣ — القبائل والأمم

تصويب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	٢	الحرن	الحزن
٢٦	٦	العجوزة	العجوز
٤٢	٢	ويوسفشاه	يوسفشاه
٦٠	٣	ين	بن
٦٤	١٧	توقان	توقات
٧٠	١٤	نكودريان	النكودريين
٨٣	١١	قرابوقاى	قرانوقاى
٨٤	٩	فبما	فيما
٨٨	٢	وأسماء	أسماء
٨٩	١٣	طوغاى	طوغان
٩٩	١٣	قورمش	قورمشى
١٢٠	١١	قنقوتاى	قنقورتاى
١٢٤	١٦	اتباى	ابتاى
١٣٢	٢	أقضل	أفضل
١٣٩	٦	الكتبى	الكبتى
١٤١	١٧	ملك	الملك
١٨٠	١٤	و«بدلان ناوور»	بموضع«دلان ناوور»


Bibliotheca Alexandrina
0426574